الإصدار الثامن عشر

زَادُ عَاشوراء

للمُحاضِر الحُسيني

دار المعارف الإسلامية الثقافية

زاد عاشوراء

للمحاضر الحسيني

دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

الكتاب: **زاد عاشوراء للمحاضر الحسينيّ**

الإصدار الثامن عشر

إعداد: **مركز المعارف للتأليف والتحقيق**

إصدار: **دار المعارف الإسلاميّة الثقافيّة**

تصميم وطباعة: DBOUK 00961 3 336218

الطبعة الأولى - 2019م

ISBN 978-614-467-142-9

books@almaaref.org.lb
00961 01 467 547

زاد عاشوراء

للمحاضر الحسيني

دار المعارف الإسلامية الثقافية

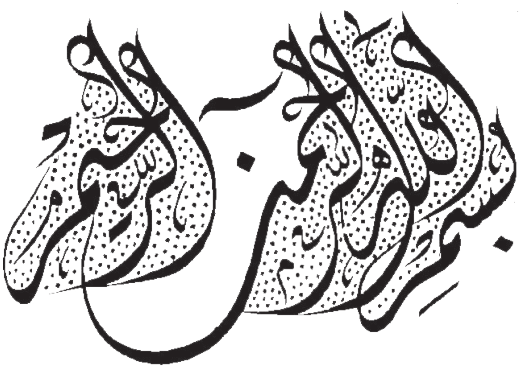
بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

السياسات والتوجيهات العامّة للخطاب العاشورائيّ 9

الموعظة الأولى: آية المودّة..... 15

الموعظة الثانية: ارتباط الإمام الحسين عليه السلام بالله 25

الموعظة الثالثة: المرأة ودورها الجهاديّ 35

الموعظة الرابعة: دور العلماء في النهضة الإيمانيّة 43

الموعظة الخامسة: العزّة ودورها في الانتصار..... 55

الموعظة السادسة: تأثير الاعتقاد بالإمام المهديّ عجل الله فرجه 64

الموعظة السابعة: أصحاب البصيرة 73

الموعظة الثامنة: الشباب..... 82

الموعظة التاسعة: الأسرة والتربية..... 90

الموعظة العاشرة: أصحاب الفوز العظيم 101

الموعظة الحادية عشرة: ارتباط الشهداء بالإمام عليه السلام 110

الموعظة الثانية عشرة: الإمام الحسين عليه السلام والمسؤوليّة الدينيّة..... 119

الموعظة الثالثة عشرة: نمط الحياة الإسلاميّ 127

الموعظة الرابعة عشرة: المدد الغيبيّ 135

الموعظة الخامسة عشرة: الثقة بالله وحسن الظنّ به 143

الموعظة السادسة عشرة: حُسن الظنّ بالآخرين..... 154

الموعظة السابعة عشرة: ستر العيوب 163

الموعظة الثامنة عشرة: الشائعات وآثارها السلبيّة..... 172

الموعظة التاسعة عشرة: حقوق الناس 181

الموعظة العشرون: الحياء 189

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطاهرين.

سُئل الإمام الباقر عليه السلام: فكيف يعزّي بعضُنا بعضًا؟ قال عليه السلام: «**تقولون: أعظم الله أجورنا بمُصابنا بالحسين! وجعلنا وإيّاكم من الطالبين بثاره مع وليّه الإمام المهديّ من آل محمّد عليهم السلام!**»[1].

إنّ في هذا الحديث رسالةً لكلِّ مؤمنٍ موالٍ، تتمحور حول عنوانين رئيسيّين:

الأوّل، يتعلّق بالبعد العاطفيّ لذكرى عاشوراء وتعزية الموالين بعضهم بعضاً بالمُصاب الجلل الذي حلّ بالإمام أبي عبد الله عليه السلام وأهل بيته وأصحابه.

والثاني، يتطلّع نحو المستقبل، وبالتحديد نحو الهدف الاستراتيجيّ للثورة الحسينيّة، والذي سوف يتحقّق على يدِ وليّه الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، آخذًا بثأر جدّه سيّد الشهداء عليه السلام.

(1) الطوسيّ، الشيخ محمّد بن الحسن، مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، مؤسّسة فقه الشيعة، لبنان - بيروت، 1411هـ - 1991م، ط1، ص773.

ولأنّ للمبلّغين الأعزّاء دورَهم المحوريّ في هذا المشروع الإلهيّ، وفي صناعة النصر والهدف الربّانيّ؛ بما يمتلكونه من قدرةٍ على قراءةِ التاريخ بأحداثه ومواقفه، وقدرةٍ على التخطيط لمستقبل بيئة المنتظرين، فقد كانت سلسلة «**زاد عاشوراء**»، إحدى وسائل رفدِ هؤلاء المبلّغين الأعزّاء بالمادّة الثقافيّة المناسبة لاحتياجات مجتمعنا في أيّامنا الراهنة، والتي دأب مركز المعارف للتأليف والتحقيق على إعدادها بما يتوافق مع الأهداف الثقافيّة السنويّة العامّة لهذا العامّ.

وقد تميّز هذا الإصدار بربط أكثر موضوعاته ومواعظه بالإمام المهديّ المنتظر عجل الله فرجه الشريف، مشفوعة بعددٍ من الشواهد المعاصرة المناسبة، بالإضافة إلى الشواهد المتعلّقة بالإمام الحسين عليه السلام وثورته المباركة، بغية تسليط الضوء عليها أمام الموالين والمحبّين، مع التأكيد على ضرورة ربط أحداث عاشوراء بالواقع المعاصر.

هذا، ونسأل المولى -سبحانه وتعالى- أن تكون هذه السلسلة طريقًا من طرق تحقيق الهدف الاستراتيجيّ للثورة الحسينيّة المباركة على مرّ السنين.

والحمد لله ربِّ العالمين

مركز المعارف للتأليف والتحقيق

السياسات والتوجيهات العامّة للخطاب العاشورائيّ

أوّلاً: السياسات العامّة

1. تأكيد أهمّيّة الجانب المعنويّ الذي يحقّقه الارتباط بالله -تعالى- والتوكّل عليه، وأهمّيّة هذا الجانب في استنزال المدد الإلهيّ للنصر على الأعداء، وإنْ قلَّ المؤمنون وكَثُر أعداؤهم.
2. ربط الناس بالتكليف الإلهيّ، على قاعدة كونه الموجِّه لموقف الفرد والأمّة.
3. توجيه الناس نحو العمل للآخرة، لضمان استمرار الحياة بسعادة باقية، وإبراز دور الشهادة في تحقيق ذلك.
4. غرس روح التضحية في أبناء الأمّة، فمعركة الحقّ ضدّ الباطل لا بدّ لها من تضحيات، وتضحيات الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء دليل واضح على ذلك.
5. الإرشاد إلى دور الولاية في توجيه الأمّة وترشيدها، وإلى أنّ وحدة الوليّ والقائد هي الضمان لوحدة الأمّة وعزِّها.
6. تأكيد ضرورة وحدة المسلمين صفّاً واحداً أمام أعدائهم.
7. تحديد طواغيت العصر ويزيديّيه المتمثّلين اليوم في الدرجة

الأولى بأمريكا وإسرائيل، والتطرّق إلى الممارسات الإرهابيّة التي يمارسها هؤلاء الطواغيت ضدّ مسلمي العالم ومستضعفيه.

8. بيان تكليف الأمّة في نصرة المظلومين.
9. التشديد على ضرورة الثبات في معركة الحقّ ضدّ الباطل، ودورها في تحقيق النصر الإلهيّ.
10. إبراز التشابه بين ثورة الإمام الحسين عليه السلام ومعركتنا ضدّ الباطل، سواء على مستوى الأهداف وممارسات الأعداء، أو على مستوى مشاركة الشرائح المتنوّعة في المجتمع لنصرة الحقّ (من شبّان، وشيوخ، ونساء، وأطفال، وطبقات اجتماعيّة متفاوتة).
11. اللفت إلى ضرورة التكافل الاجتماعيّ في الأمّة بما يؤمِّن القوّة الداخليّة للمجتمع في معركته ضدّ الباطل.
12. تقوية علاقة الناس بصاحب العصر والزمان (عجّل الله تعالى فرجه الشريف)، وبيان مسؤوليّتهم في التمهيد لظهوره المبارك، واستعدادهم لاستمرار التضحية بين يديه.

ثانياً: التوجيهات العامّة

نقتبس من كلام الإمام الخمينيّ قدس سره بعض التوجيهات المهمّة للمحاضرين والخطباء الحسينيّين، وهي:

1. دعا قدس سره إلى تفعيل مجالس الإنشاد للشعر الحسينيّ والاستماع إليها، فقال: «فلْتُقم مجالس ذكرى سيّد المظلومين والأحرار بجلال أكثر وحضور أكثر، فهي مجالس غلبة قوى العقل على الجهل،

والعدل على الظلم، والأمانة على الخيانة، وحكومة الإسلام على حكومة الطاغوت».

2. اعتبر قدس سره أنّ البكاء في ثقافة عاشوراء سلاح جاهز على الدوام يمكن رفعه عند الحاجة بوجه الظالمين. والدموع هي لغة القلب، والبكاء هو صرخة عصر المظلوميّة، قال الإمام الخمينيّ: «إنّ البكاء على الشهيد إحياء للثورة، وإحياء لمفهوم أنّ فئة قليلة تقف بوجه إمبراطور كبير... إنّهم يخشون هذا البكاء؛ لأنّ البكاء على المظلوم صرخة بوجه الظالم»، و«لترتفع راياتُ عاشوراء المدمَّاة أكثرَ فأكثر معلنةً حلول يوم انتقام المظلوم من الظالم».

3. وفي توجيهه المباشر للخطباء الحسينيّن، قال الإمام الخمينيّ قدس سره:

- إنّ على الخطباء أن يقرؤوا المراثي حتّى آخر الخطبة، ولا يختصروها، بل ليتحدّثوا كثيراً عن مصائب أهل البيت عليهم السلام.
- ليهتمّ خطباء المنابر ويسعوا إلى دفع الناس نحو القضايا الإسلاميّة، وليعطوا التوجيهات اللازمة في الشؤون السياسيّة والاجتماعيّة.
- يجب التذكير بالمصائب والمظالم التي يرتكبها الظالمون في كلّ عصر ومصر.
- أوّل شيء يجب أن تهتمّوا به هو رسالة الثورة في المصيبة، وفي المدح وفي الأخلاقيّات والوعظ.

وعن كيفيّة إقامة مراسم العزاء يتحدّث الإمام الخميني قائلاً: إنّه سؤال موجَّه إلى جميع من يشعر بالمسؤوليّة في هذه القضيّة، وباعتقادي أنّ هذه المجالس يجب أن تتميّز بثلاثة أمور:

1. تكريس محبّة أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم في القلوب؛ لأنّ الارتباط العاطفيّ ارتباط قيِّم ووثيق.
2. إعطاء صورة واضحة عن أصل قضيّة عاشوراء، وإظهارها للناس من الناحية الثقافيّة والعقائديّة والنفسيّة والاجتماعيّة.
3. تكريس المعرفة الدينيّة والإيمان الدينيّ، والاعتماد على آية شريفة أو حديث شريف صحيح السند، أو رواية تاريخيّة ذات عبرة.
4. على أيّ منبر صعدتم وأيّ حديث تحدّثتم، بيّنوا للناس يزيد هذا العصر وشمر هذا العصر ومستعمري هذا العصر.

وكـذا نجد في كلمات الإمـام الخامنئيّ دام ظله الكثير من التوجيهات المتعلّقة بالمضمون الفكريّ للمجالس، حيث يقول:

1. من الخطأ أن يواظب المرء في مجلس العزاء أو في الهيئة المقيمة للعزاء، على أن لا يدخل في مواضيع الإسلام السياسيّ. ولا يعني هذا الكلام أنّه كلّما وقعت حادثة سياسيّة وجب أن نتكلّم فيها في مجالس العزاء.
2. إنّ فكر الثورة والفكر الإسلاميّ، والخطّ المبارك الذي أرساه الإمام قدس سره في هذا البلد، وتركه لنا هو ما ينبغي أن يكون حاضرًا في إحياء هذه المراسم.

3. إنّ أكثر من يليق به القيام بإحياء عزاء سيّد الشهداء، هم هؤلاء المجاهدون في سبيل الله، هؤلاء المحاربون (المقاتلون)... هؤلاء الشّباب، وعليكم أنتم أن تعرفوا قدر هذا الأمر، وأن تعملوا على توجيهه، اعملوا على التوجيه.
4. الالتفات إلى أنّ ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت لتأدية واجب عظيم، وهو إعادة الإسلام والمجتمع الإسلاميّ إلى الخطّ الصحيح أو الثورة ضدّ الانحرافات الخطيرة في المجتمع الإسلاميّ، وهذا الواجب يتوجّه إلى كلّ فرد من المسلمين عبر التاريخ، وهو أنّه على كلّ مسلم لزوم الثورة حال رؤية تفشّي الفساد في جذور المجتمع الإسلاميّ.
5. الالتفات إلى أنّ الإمام الحسين عليه السلام أحيا بثورته خطّ جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ونهجه، وهو معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «حسينٌ منّي وأنا من حسين».

الموعظة الأولى

آية المودّة

حبّ أهل بيتي وذرّيتي
استكمال الدين

الهدف العامّ

تعظيم حبّ أهل البيت عليهم السلام ومودّتهم في القلب والسلوك.

المحاور الرئيسة

- المودّة في القربى
- وجوب المودّة
- حقيقة الحبّ
- حبّ أهل البيت عليهم السلام
- بين الحبّ والمودّة
- آثار حبّ آل البيت عليهم السلام
- حبّ الإمام الحسين عليه السلام

قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[1].

من القيم الجماليّة التي تمثّلت في مدرسة كربلاء «قيمة الحبّ»، هذه القيمة التي عبّر عنها عابس بن أبي شبيب الشاكريّ، أحد أنصار الإمام الحسين عليه السلام، عندما قال: «حبّ الحسين أجنّني». حديثنا في هذه الليلة عن قيمة الحبّ، وذلك من خلال عناوين عدّة.

المودّة في القربى

المراد بالمودّة في القربى، مودّة قرابة النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وهم عترته من أهل بيته صلى الله عليه وآله وسلم. وقد وردت روايات من طرق أهل السنّة، وتكاثرت الأخبار من طرق الشيعة على تفسير الآية بمودّتهم وموالاتهم عليهم السلام، ويؤيّده الأخبار المتواترة من طرق الفريقين على وجوب موالاة أهل البيت عليهم السلام ومحبّتهم[2].

(1) سورة الشورى، الآية 23.

(2) الطباطبائيّ، العلّامة السيّد محمّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، إيران - قم، 1417هـ، ط5، ج18، ص46.

روى السيوطيّ وغيره -في تفسير هذه الآية- بالإسناد إلى ابن عبّاس، قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾، قالوا: يا رسول الله، مَنْ قرابتك هؤلاء الذين وجبت مودّتهم؟ قال ﷺ: «**عليّ وفاطمة وولداها**»[1].

وعن أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**فينا في آل حم آية، لا يحفظ مودّتنا إلّا كلّ مؤمن**» ثمّ قرأ: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [2][3].

وإلى هذا أشار الكميت الأسديّ بقوله:

وَجَدْنَا لَكُمْ في آلِ حم آيةً تَأَوَّلَهَا منَّا تَقِيٌّ ومُعْرِبُ[4]

وجوب المودّة

استدلّ الفخر الرازيّ على ذلك بثلاثة أوجه؛ فبعد أن روى الحديث عن الزمخشريّ، قال: «فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبيّ ﷺ، وإذا ثبت هذا، وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيدٍ من التعظيم، ويدلّ عليه أوجه:

الأوّل: قوله -تعالى-: ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾.

---

(1) السيوطيّ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، لا.ت، لا.ط، ج6، ص7.

(2) سورة الشورى، الآية 23.

(3) المجلسيّ، العلّامة محمّد باقر بن محمّد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، مؤسّسة الوفاء، لبنان - بيروت، 1403هـ - 1983م، ط2، ج23، ص230.

(4) المصدر نفسه، ص231.

الثاني: لا شكّ في أنّ النبيّ ﷺ يحبّ فاطمة عليها السلام؛ إذ قال ﷺ: «**فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما يؤذيها**»[1]، وثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله ﷺ أنّه كان يحبّ عليًّا والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على الأمّة كلّها مثله؛ لقوله -تعالى-: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾[2]، ولقوله -تعالى-: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ﴾[3].

الثالث: إنّ الدعاء للآل منصب عظيم؛ ولذلك جُعل هذا الدعاء خاتمة التشهّد في الصلاة، وهو قوله: «**اللّهمّ، صلِّ على محمّد وآل محمّد**»، وهذا التعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل؛ فذلك كلّه يدلّ على أنّ حبّ محمّد وآل محمّد واجب[4].

وأشار الشافعيّ إلى نزول آية المودّة في أهل البيت عليهم السلام بقوله:

يا آلَ بيتِ رسولِ اللهِ حبُّكُمُ فرضٌ مِنَ اللهِ في القرآنِ أنزلَهُ[5]

---

(1) المجلسيّ، العلّامة محمّد باقر بن محمّد تقي، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، مؤسّسة الوفاء، لبنان - بيروت، 1403هـ - 1983م، ط2، ج23، ص234.

(2) سورة الأعراف، الآية 158.

(3) سورة النور، الآية 63.

(4) الفخر الرازيّ، فخر الدين محمّد بن عمر، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (تفسير الرازيّ)، لا.ن، لا.م، لا.ت، ط3، ج27، ص166.

(5) الهيتميّ المكّيّ، أحمد بن حجر، الصواعق المحرقة في الردّ على أهل البدع والزندقة، تحقيق عبد الوهّاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة، مصر، 1385هـ - 1965م، ط2، ص148.

حقيقة الحبّ

الحبّ هو الانجذاب نحو الكمال، فمن يحبّ شخصًا مثلًا، فإنّه يرى فيه كمالًا من جمال أو قوّة أو علم.

والإنسان خُلق مفطورًا على حبّ الكمال والسعي لاكتسابه، وإنّ هذا الحبّ يمثّل درجةً شديدةً في وجوده، فهو أمرٌ وجوديّ ذاتيّ شديد، فلا يحتاج إلى تعليل.

وفي ضوء ذلك، يتبيّن لنا أنّ الموارد والمواطن الكماليّة جميعها تقع هدفًا أمام سير الإنسان التكامليّ، يتزوّد بحسب مراتبها للوصول إلى الغاية العُليا، وهي الكمال المطلق، إذا أضفنا إلى ذلك أنّ الإنسان بذاته هو مظهر من مظاهر أسماء الله الحُسنى، حيث تجلّت فيه القدرة الإلهيّة والعلم والحياة والإبداع وغير ذلك.

ولاشكّ في أنّ الإنسان كلّما حاز كمالاتٍ أكثر، ومراتبَ أعلى وأشدّ وأكبر، فإنّ مظهريّة الأسماء الحسنى فيه تشتدّ، والعكس بالعكس.

ولاشكّ في أنّ كلّ إنسان حائز كمالات يكون محلّ جذبٍ واستقطاب الآخرين له، هذا فضلًا عمّن حاز كمالات أكثر وأشدّ وأكبر، فكيف بمن خلت ساحته من أيّ قصور أو نقص سوى الفقر إلى الله -تعالى-، فلا ريب أنّه سوف يكون قطب الرحى، والنقطة الفريدة في مركز دائرة عالم الإمكان!

حبّ أهل البيت عليهم السلام

إذا تبيّن لنا، كما ثبت في الذكر الحكيم والسيرة الشريفة، أنّ أهل البيت عليهم السلام هم المصداق الأوّل والأشدّ لما تقدّم كلّه، وأنّهم حازوا الكمالات الوجوديّة السامية كلّها، وأنّهم الأقرب إلى الكمال المطلق، والفاقدون لكلّ مفقود سوى الفقر للغنيّ المطلق، عُلم أنّ متابعة أهل البيت عليهم السلام ومحبّتهم قضيّة فُطر الناس عليها؛ فالمتمسّك بهم، والداعي لهم يكون عاملًا في ضوء فطرته الأولى.

وهكذا يتّضح لنا سبب حبّ أهل البيت عليهم السلام، وأنّه أمرٌ وجوديّ فينا، تبعًا لحبّ الكمال المتّصل بهم، وعندئذٍ ينقطع السؤال عن سبب هذه المحبّة، كانقطاعه عن أصل طلب الكمال وحبّه.

وسيتّضح لنا اشتراط الإقرار بالنبوّة للنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، والإمامة لعليّ وأهل بيته عليهم السلام على سائر الأنبياء السابقين، والالتزام بولايتهم، كما جاء في الأخبار المستفيضة[1].

ففي الحديث النبويّ المعتبر: «**يا عليّ، أنت قسيم النار، تقول هذا لي وهذا لك**»[2]، وفي رواية أخرى: «**أنتَ قسيم الجنّة والنار في يوم القيامة، تقول للنار: هذا لي وهذا لكِ**»[3].

---

(1) قال الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يوم أُسري به: «أتاني ملك، فقال لي: يا محمّد، سل من أرسلنا من قبلك من رسلنا على ما بُعثوا؟ قلت: على ما بُعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية عليّ بن أبي طالب». انظر: الحاكم النيسابوريّ، معرفة علوم الحديث، منشورات دار الآفاق الحديث، لبنان - بيروت، 1400 - 1980م، ط4، ص96. وغيره الكثير.

(2) عليّ بن إبراهيم القمّيّ، تفسير القمّيّ، تصحيح وتعليق وتقديم السيّد طيّب الموسويّ الجزائريّ، مؤسّسة دار الكتاب للطباعة والنشر، إيران - قم، 1404هـ، ط3، ج2، ص389.

(3) ابن حجر، الصواعق المحرقة، مصدر سابق، ص126.

فهو الكمال المأمول، من بلغه كان نصيبه الجنّة، فطوبى لمن تمسّك بركبه وسار على نهجه، وذلك هو الفوز العظيم.

بين الحبّ والمودّة

الفرق بين المحبّة والمودّة هو كالفرق بين المؤثِّر وأثره، فالمحبّة: صفة نفسيّة، والمودّة: صفة عمليّة؛ فالحبّ: هو المؤثّر، والمودّة: هي الأثر؛ فالمحبّة تستتبع من ورائها المودّة، التي هي علامة عليه؛ إذًا، الحبّ صفة نفسيّة وعاطفة قلبيّة، وأمّا المودّة فهي أثر سلوكيّ وعمليّ متفرّع على الحبّ.

عبّر القرآن عن علاقة المسلم بأهل البيت بالمودّة ولم يعبّر بالمحبّة، قال الله -تعالى-: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[1]، فليس المطلوب من المسلم تُجاه أهل البيت مجرّد حرارة عاطفيّة وإقبال قلبيّ، بل المطلوب منه سلوك عمليّ، أي المودّة، وليس مجرّد المحبّة.

فالمودّة تكون بإحياء أمرهم، ونشر علومهم وحديثهم، وذكر فضائلهم، وإقامة عزائهم، وزيارة مراقدهم الشريفة...

فالله -جلّ وعلا- فرض حبّهم بنحوين:

الأوّل: لأنّ في آل البيت عليهم السلام مجموعة من الفضائل والقيم، فيكون حبّهم حبًّا للفضائل والقيم، فأمر القرآن بحبّهم أمر

(1) سورة الشورى، الآية 23.

بالاستقامة على الفطرة، والمشي على الفطرة من حبّ الفضائل والقيم.

الثاني: إنّ حبّهم طريق لمرجعيّتهم التشريعيّة؛ فالله -سبحانه- يريد من المسلمين أن يرجعوا إلى أهل البيت في تفسير القرآن، وفي الفقه، وفي الحكم، هذه المرجعيّة التي أكّدها النبيّ ﷺ في حديث الثقلين: «**إنّي أوشك أن أُدعى فأجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين؛ كتاب الله -عزّ وجلّ- وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليَّ الحوض، فانظروني بِمَ تخلفوني فيهما**»[1].

آثار حبّ آل البيت عليهم السلام

1. الطاعة والورع

عن الإمام الصادق عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَنْ أحبّنا، فليعمل بعملنا وليستعن بالورع، فإنّه أفضل ما يُستعان به في أمر الدنيا والآخرة**»[2].

---

(1) أحمد بن حنبل، المسند (مسند أحمد)، دار صادر، لبنان - بيروت، لا.ت، لا.ط، ج3، ص17. والحديث متواتر.

(2) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ بن بابويه، الخصال، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفّاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، إيران - قم، 1403هـ - 1362ش، لا.ط، ص614.

وعنه عليه السلام: «**إنّما شيعة جعفر من عفّ بطنه وفرجه، واشتدّ جهاده، وعمل لخالقه ورجا ثوابه وخاف عقابه**»[1].

2. استكمال الدين

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**حبّ أهل بيتي وذرّيتي استكمال الدين**»[2].

3. التمسّك بالعروة الوثقى

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مخاطبًا أمير المؤمنين عليًّا عليه السلام: «**يا عليّ، مَنْ أحبّكم وتمسّك بكم، فقد تمسّك بالعروة الوثقى**»[3].

4. الشفاعة يوم القيامة

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**الزموا مودّتنا أهل البيت؛ فإنّه من لقي الله يوم القيامة وهو يودّنا، دخل الجنّة بشفاعتنا**»[4].

5. منزلة الشهداء

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من مات على حبّ آل محمّد مات شهيدًا، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفورًا له، ألا ومن مات**

(1) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ بن بابويه، الخصال، تصحيح وتعليق عليّ أكبر الغفّاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقم المشرّفة، إيران - قم، 1403هـ - 1362ش، لا.ط، ص296.

(2) الصدوق، الشيخ محمّد بن عليّ بن بابويه، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة - مؤسّسة البعثة، مركز الطباعة والنشر في مؤسّسة البعثة، إيران - قم، 1417هـ، ط1، ص259.

(3) الخزاز القمّيّ، كفاية الأثر، تحقيق السيّد عبد اللطيف الحسينيّ الكوهكمريّ الخوئيّ، انتشارات بيدار، إيران - قم، 1401هـ، لا.ط، ص71. الديلميّ، الشيخ أبو محمّد الحسن بن محمّد، إرشاد القلوب، انتشارات الشريف الرضيّ، إيران - قم، 1415هـ - 1374ش، ط2، ج2، ص415.

(4) البرقيّ، أحمد بن محمّد بن خالد، المحاسن، تصحيح وتعليق السيّد جلال الدين الحسينيّ، دار الكتب الإسلاميّة، إيران - طهران، 1370هـ - 1330 ش، لا.ط، ج1، ص61.

على حبّ آل محمّد مات تائبًا، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمنًا مستكملَ الإيمان»[1].

حبّ الحسين عليه السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديث صحيح مستفيض عند المسلمين كلّهم: «**حسين منّي، وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسينًا، حسين سبط من الأسباط**»[2].

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من أراد الله به الخير، قذف في قلبه حبّ الحسين عليه السلام وحبّ زيارته، ومن أراد الله به السوء، قذف في قلبه بغض الحسين وبغض زيارته**»[3].

(1) الثعلبيّ، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (تفسير الثعلبيّ)، الإمام أبو محمّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعديّ، دار إحياء التراث العربيّ، 1422 - 2002م، ط1، ج8، ص314.

(2) الإمام أحمد ابن حنبل، مسند أحمد، مصدر سابق، ج4، ص172. ومصادر كثيرة.

(3) ابن قولويه، أبو القاسم جعفر بن محمّد بن قولويه القمّيّ، كامل الزيارات، تحقيق الشيخ جواد القيّوميّ، إيران - قم، مؤسّسة نشر الفقاهة، 1417هـ، ط1، ص269.

الموعظة الثانية

ارتباط الإمام الحسين عليه السلام بالله

إنّا نريد أن نصلّيَ لربّنا الليلة ونستغفره، فهو يعلم أنّي أحبّ الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار

الهدف العامّ

الحثّ على توطيد علاقة العبد باللّه -عزّ وجلّ-.

المحاور الرئيسة

- الارتباط بالله
- التوكّل على الله
- تفويض الأمر إلى الله
- الرضا بقضاء الله
- التسليم لأمر الله
- ارتباط الإمام الحسين عليه السلام بالله
- أنصار الإمام المهدي عجل الله فرجه رهبان الليل

قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[1].

عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل الناس من عشق العبادة فعانقها، وأحبّها بقلبه، وباشرها بجسده، وتفرّغ لها، فهو لا يبالي على ما أصبح من الدنيا، على عسر أم يسر**»[2].

الارتباط بالله

الارتباط بالله -تعالى- هو حضور الله -سبحانه- الدائم في حياة الإنسان، والتوجّه إليه، وعدم الغفلة عنه أبدًا، فلا يعبد غيره، ولا يرجو سواه، ولا يطلب حاجته إلّا منه -سبحانه وتعالى-.

وللارتباط بالله أربع مراتب:

المرتبة الأولى: التوكّل.

المرتبة الثانية: التفويض.

المرتبة الثالثة: الرضا.

المرتبة الرابعة: التسليم.

(1) سورة آل عمران، الآية 191.

(2) الكلينيّ، الشيخ محمّد بن يعقوب بن إسحاق، الكافي، تحقيق وتصحيح عليّ أكبر الغفّاريّ، دار الكتب الإسلاميّة، إيران - طهران، 1363ش، ط5، ج2، ص83.

في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام، عن أبيه عليه السلام قال: «**قال أمير المؤمنين عليه السلام: الإيمان له أركان أربعة: التوكّل على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والرّضاء بقضاء الله، والتّسليم لأمر الله -عزّ وجلّ-**»[1].

وأهمّ مظاهر الارتباط بالله هو العبادة؛ من صلاة وصوم وحجّ ودعاء؛ فإنّها تجسيد لشعور الإيمان، وتعبير عمليّ وتطبيقيّ عن الارتباط بالله -تعالى-.

التوكّل على الله

عُرّف بأنّه انقطاع العبد إليه في جميع ما يؤمّله من المخلوقين، وقيل: «**هو الثقة بما عند الله، واليأس عمّا في أيدي النّاس**»[2].

أو هو الاعتماد عليه والوثوق به في الرزق وغيره من الضروريّات، وقطع تعلّق القلب بغيره من الأسباب والمسبّبات، وهو يُوجب قوّة الإيمان وثباته[3].

قال -تعالى-: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[4].

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص47.
(2) الشيرازيّ، السيّد عليّ خان المدنيّ، رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين عليه السلام، السيّد محسن الحسينيّ الأمينيّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، 1415، ط4، ج7، ص391.
(3) المازندرانيّ، المولى محمّد صالح بن أحمد، شرح أصول الكافي، تعليقات الميرزا أبو الحسن الشعرانيّ، ضبط وتصحيح السيّد عليّ عاشور، دار إحياء التراث العربيّ للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1421هـ - 2000م، ط1، ج8، ص145.
(4) سورة الطلاق، الآية 3.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**... ومن أُعطي التوكّل، أُعطي الكفاية**»، ثمّ قال: «**أتلوت كتاب الله -عزّ وجلّ-:** ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾**؟...**»[1].

تفويض الأمر إلى الله

في دفع شرّ الأعداء وكيد الخصماء ومكائد النفس ووسائس الشيطان، أو تفويض أمره مطلقًا إلى الله، كما فوّض مؤمن آل فرعون أمره إلى الله، ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟﴾[2]، فإنّ من استكفاه كفاه الله، وفرغ هو لذكره وطاعته، وهو يُوجب قوّة الإيمان وثباته. والتفويض هو ثمرة التوكّل.

الرضا بقضاء الله

وهو سكون القلب إلى أحكام الله -تعالى-، وموافقة الضمير بما رضي واختار.

وقيل: هو فرح القلب وسروره بنزول الأحكام في الحلو والمرّ.

سأل النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم جبرئيل عليه السلام عن تفسير الرضا، فقال: «**الراضي هو الذي لا يسخط على سيّده، أصاب من الدنيا أو لم يصب، ولا يرضى من نفسه باليسير**». والرضا من أعلى منازل المقرّبين، وأقصى مراتب السالكين، فإنّه ثمرة المحبّة[3].

---

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص65.

(2) سورة غافر، الآيتان 44-45.

(3) المولى محمّد المازندرانيّ، شرح أصول الكافي، مصدر سابق، ج1، ص220.

يقول الإمام الخمينيّ قدس سره: «اعلم، أنّ مقام الرضا غير مقام التوكّل؛ وذلك لأنّ المتوكّل يطلب الخير والصلاح لنفسه... أمّا الشخص الراضي فيكون قد أفنى إرادته في إرادة الله...»[1].

التسليم لأمر الله

هو في الحقيقة قبول قول الله وقول الرسول والأوصياء وأفعالهم ظاهرًا وباطنًا، وتلقّيها بالبِشر والسرور، وإن كان ثقيلًا على النفس، وغير موافق للطبع، وهو أصل عظيم لرسوخ الإيمان وكماله؛ إذ لو انتفى استولى ضدّه -وهو الشكّ- على القلب. والشكّ ينافي أصل الإيمان فضلًا عن كماله[2].

قال الله -تعالى-: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾[3].

وهذه مرتبة الأولياء والأئمّة المعصومين عليهم السلام، ولعلّها لا تحصل لغيرهم، إلّا لمن رزقه الله تربية الإمام المعصوم، كما في العبّاس

(1) راجع: الإمام الخمينيّ، السيّد روح الله الموسويّ، الأربعون حديثًا، دار التعارف، لبنان - بيروت، 1411هـ- 1991م، ص210.
وعن الإمام الصادق عليه السلام: «رأس طاعة الله الصبر والرضا عن الله فيما أحبّ العبد أو كره» (الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص60).
وعن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: «الزهد عشرة أجزاء، أعلى درجة الزهد أدنى درجة الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجة اليقين أدنى درجة الرضا» (الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص62).
فأشار عليه السلام إلى أنّ الرضا فوق الجميع، ومن ثمّ كان مقام الرضا فوق جميع مقامات السالكين.
(2) المولى محمّد المازندرانيّ، شرح أصول الكافي، مصدر سابق، ج8، ص145.
(3) سورة النساء، الآية 65.

بن عليّ؛ ولذلك نقرأ في زيارته: «**أشهد لك بالتصديق والتسليم والوفاء والنصيحة لخلف النبيّ المرسل والسبط المنتجب**»[1]، فالعبّاس وصل إلى درجة التسليم، والمقصود من هذه الدرجة أن لا يرى لنفسه تأثيرًا، ويعدّ تمام شؤونه ملكًا لله -تبارك وتعالى-.

ارتباط الإمام الحسين عليه السلام بالله

جسّد الإمام الحسين عليه السلام أعلى درجات الارتباط بالله، فقد كان المثل الأعلى لمقامات التوكّل والتفويض والرضا والتسليم.

وفي أعظم موقف، وطفله الرضيع بين يديه، رماه حرملة بن كاهل الأسـديّ بسهم فذبحه في حجر الحسين، فتلقّى الحسين عليه السلام دمه حتّى امتلأت كفّه منه، ثمّ رمى به إلى السماء، ثمّ قال: «**هوّن عليّ ما نزل بي أنّه بعين الله**»، قال الإمام الباقر عليه السلام: «**فلم يسقط من ذلك الدم قطرة إلى الأرض**»[2].

فالإمام الحسين عليه السلام وصل إلى مرتبة التسليم، وإلى درجة لا يرى فيها نفسه، بل لا يرى إلّا الله، يقول عليه السلام في دعاء عرفة: «**متى غبتَ حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك؟... عميت عينٌ لا تراك عليها رقيبًا**»[3].

---

(1) الشهيد الأوّل، محمّد بن مكّي العامليّ، المزار، مدرسة الإمام المهديّ عجل الله فرجه، إيران - قم، 1410، ط1، ص131.

(2) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج45، ص46. (ينقله عن ابن طاووس، السيّد رضيّ الدين عليّ بن موسى الحسينيّ، اللهوف في قتلى الطفوف، أنوار الهدى، إيران - قم، 1417هـ، ط1، ص69).

(3) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج64، ص142.

وهو ملقًى في آخر لحظات عمره الشريف، وقد أضعفته كثرة الجراح، وتفتّت كبده من حرارة الشمس ولهيب التراب، يناجي ربّه: «**اللّهمّ، متعالي المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غنيّ عن الخلائق، عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دُعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب إليك، قادرٌ على ما أردت، ومدركُ ما طلبت، وشكورٌ إذا شُكرت، وذكورٌ إذا ذُكرت، أدعوك محتاجًا، وأرغب إليك فقيرًا، وأفزع إليك خائفًا، وأبكي إليك مكروبًا، وأستعين بك ضعيفًا، وأتوكّل عليك كافيًا، احكم بيننا وبين قومنا، فإنّهم غرّونا وخدعونا وخذلونا وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيّك، وولد حبيبك محمّد بن عبد الله، الذي اصطفيته بالرسالة، وائتمنته على وحيك، فاجعل لنا من أمرنا فرجًا ومخرجًا، برحمتك يا أرحم الراحمين**»[1].

قال أبو مخنف: وبقي الحسين ثلاث ساعات من النهار ملطّخًا بدمه، رامقًا بطرفه إلى السماء، وينادي: «**يا إلهي، صبرًا على قضائك، ولا معبود سواك، يا غياث المستغيثين**»[2].

(1) الشيخ الطوسيّ، مصباح المتهجّد، مصدر سابق، ص827-828.

(2) القندوزيّ، الشيخ سليمان بن إبراهيم الحنفيّ، ينابيع المودّة لذوي القربى، تحقيق السيّد عليّ جمال أشرف الحسينيّ، دار الأسوة للطباعة والنشر، إيران - قم، 1416هـ، ط1، ج3، ص82.

العبادة

العبادة في الإسلام اسمٌ جامعٌ لكلّ ما يحبّه الله -تعالى- ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. وهي تتضمّن غاية الذلّ لله -تعالى- مع المحبّة له. وهذا المدلول الشامل للعبادة في الإسلام هو مضمون دعوة الرسل عليهم السلام جميعًا، قال الله -تعالى-: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾[1].

ورد في الحديث القدسيّ: «**... وإنّه (العبد) ليتقرّب إليّ بالنوافل حتّى أُحبّه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ولسانه الذي ينطق به، ويده التي يبطش بها، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته**»[2].

عبادة الإمام الحسين عليه السلام

ما انقطع الإمام أبو عبد الله الحسين عليه السلام عن الاتّصال بربّه في لحظاته وسكناته كلّها، فقد بقيَ يجسّد اتّصاله هذا بصيغة العبادة لله، ويوثّق العُرى مع الخالق -جلّت قدرته-، ويشدّ التضحية بالطاعة الإلهيّة متفانيًا في ذات الله ومن أجله، وقد كانت عبادته ثمرة معرفته الحقيقيّة بالله -تعالى-.

---

(1) سورة الأنبياء، الآية 25.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص352.

وإنّ نظرةً واحدةً إلى دعائه عليه السلام في يوم عرفة تُبرهن على عمق هذه المعرفة، وشدّة العلاقة مع الله -تعالى-، يقول عليه السلام في هذا الدعاء العظيم: «**يا مَنْ أذاق أحبّاءه حلاوة المؤانسة؛ فقاموا بين يديه متملّقين، ويا مَنْ ألبس أولياءه ملابس هيبته؛ فقاموا بين يديه مستغفرين...**»[1].

ويقول المؤرّخون: إنّه عليه السلام قد عمل كلّ ما يقرّبه إلى الله، فكان كثير الصلاة والصوم والحجّ والصدقة وأفعال الخير[2].

حتّى أنّه في ليلة العاشر من محرّم طلب من الجيش الأُمويّ أن يمهله تلك العشيّة قائلًا: «**إنّا نريد أن نصلّيَ لربّنا الليلة ونستغفره، فهو يعلم أنّي أحبّ الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار**»[3].

كان عليه السلام أكثر أوقاته مشغولًا بالصلاة والصوم، وكان يختم القرآن الكريم في شهر رمضان. وتحدّث ابن الزبير عن عبادة الإمام عليه السلام، فقال: «أما والله، لقد قتلوه، طويلًا في الليل قيامه، كثيرًا في النهار صومه»[4].

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج95، ص226.

(2) الشيخ باقر شريف القرشيّ، حياة الإمام الحسين عليه السلام، لا.ن، لا.م، 1394 - 1974م، ط1، ج1، ص133.

(3) فارس حسّون كريم، الروض النضير في معنى حديث الغدير، مؤسّسة أمير المؤمنين عليه السلام للتحقيق، إيران - قم، 1419هـ، ط1، ص251. راجع: ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، مصدر سابق، ص54.

(4) الشيخ باقر شريف القرشيّ، حياة الإمام الحسين عليه السلام، مصدر سابق، ج1، ص133.

وكان الإمام عليه السلام كثير الحجّ، وقد حجّ خمسًا وعشرين حجّةً ماشيًا على قدميه، وكانت نجائبه تُقاد بين يديه.

وكان عليه السلام كثير البرّ والصدقة، وقد ورث أرضًا وأشياءً، فتصدّق بها قبل أن يقبضها. وكان عليه السلام يحمل الطعام في غلس الليل إلى مساكين أهل المدينة، لا يبتغي بذلك إلّا الأجر من الله، والتقرّب إليه[1].

أنصار الإمام المهديّ عليه السلام رهبان الليل

إنّ أنصار الإمام المهديّ عليه السلام، يتمتّعون بدرجات إيمانيّة عالية ويقين كبير بالله -جلّ وعلا-، كيف لا؟! ومن صفاتهم كثرة العبادة والتهجّد بالليل، بل ليس في قلوبهم مكان إلّا لله -تعالى- والطاعة لإمام زمانهم، وخير كلام رواية الإمام الصادق عليه السلام فيهم: «**رجال لا ينامون الليل، لهم دويّ في صلاتهم كدويّ النحل، يبيتون قيامًا على أطرافهم، ويصبحون على خيولهم، رهبان بالليل ليوث بالنهار، هم أطوع له من الأمّة لسيّدها، كالمصابيح كأنّ قلوبهم القناديل، وهم من خشية الله مشفقون، يدعون بالشهادة، ويتمنّون أن يُقتلوا في سبيل الله، شعارهم: يا لثارات الحسين! إذا ساروا يسير الرعب أمامهم مسيرة شهر، يمشون إلى المولى إرسالاً، بهم ينصر الله إمام الحقّ**»[2].

---

(1) الشيخ باقر شريف القرشيّ، حياة الإمام الحسين عليه السلام، مصدر سابق، ص135. (ينقلها عن مصادر متعدّدة)

(2) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج52، ص308.

الموعظة الثالثة

المرأة ودورها الجهاديّ

وتؤتَون الحكمة في زمانه، حتّى إنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسنّة رسول الله ﷺ

الهدف العامّ

التعرّف إلى الدور الجهاديّ للمرأة في كربلاء والدولة المهدويّة، ومواجهة التحدّيات المعاصرة.

المحاور الرئيسة

- **المرأة المجاهدة مع الإمام الحسين عليه السلام**
- **المرأة في الدولة المهدويّة**
- **تحدّيات المرأة في العصر الراهن**

عن الإمام الباقر عليه السلام في عدد قادة جيش الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف: «**ويجيء -والله- ثلاثمئة وبضعة عشر رجلًا، فيهم خمسون امرأة**»[1].

المرأة المجاهدة مع الإمام الحسين عليه السلام

النموذج الأوّل: إيثار زينب عليها السلام وجهادها

1. زينب عليها السلام في قلب المعركة

يقول الإمام الخامنئيّ دام ظله: «عندما وصلت زينب إلى حيث يرقد جسد عزيزها على رمضاء كربلاء، بدل أن تبدي أيّ ردّ فعل، بدل أن تشتكي، ذهبت في اتّجاه جسد عزيزها أبي عبد الله وارتفع صوتها، وهي تخاطب جدّها: «**يا رسول الله، صلّى عليك مليك السماء، هذا حسينك مرمّل بالدماء، مقطّع الأعضاء**»[2]؛ أي يا جدّي العزيز، انظر نظرةً إلى صحراء كربلاء الحارقة، هذا حسين معفَّر بالتراب مخضّب بالدماء، ثمّ ينقلون أنّ زينب وضعت يديها

(1) العياشيّ، محمد بن مسعود بن عيّاش السلميّ السمرقنديّ، تفسير العياشيّ، تحقيق الحاج السيّد هاشم الرسوليّ المحلاتيّ، المكتبة العلميّة الإسلاميّة، إيران - طهران، 1422هـ ط1، ج1، ص65.

(2) ابن نما الحلّي، مثير الأحزان، المطبعة الحيدريّة، العراق - النجف الأشرف، 1369 - 1950م، لا.ط، ص65.

تحت جسد الحسين بن عليّ وارتفع نداؤها إلى السماء: «**اللهمّ، تقبّل من آل محمّد هذا القربان!**»[1].

2. شجاعة زينب عليها السلام

عندما خاطبها ابن مرجانة قائلًا: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم، وأبطل أحدوثتكم، أجابته عليها السلام بشجاعة أبيها محتقرة له: «**الحمْدُ لله الَّذي أَكْرَمَنَا بنَبيِّه، وَطَهَّرَنا منَ الرِّجْس تَطْهيرًا، إِنَّمَا يَفْتَضِحُ الْفَاسِقُ وَيَكْذِبُ الْفَاجِرُ، وَهُوَ غَيْرُنَا والحمْدُ لله**»[2].

3. تسليمها وثباتها

وكذلك عندما خاطبها مستهزئًا: كيف رأيتِ صنع الله بأخيك؟

فأجابته بكلمات الظفر والنصر لها ولأخيها: «**ما رَأَيْتُ إلّا جَميلًا، هؤُلاَءَ قَوْمٌ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهِمُ الْقَتَلَ، فَبَرَزُوا إلى مَضَاجِعهِمْ، وَسَيَجْمعُ اللهُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ، فَتُحَاجُّ وَتُخَاصَمُ، فَانْظُرْ لِمَنِ الْفَلَجُ يَومَئِذٍ، ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يابْنَ مَرْجَانَةَ...**» [3].

وكذا عندما دخل موكب السبايا الكوفة، خرج الناس إلى الشوارع، بين مُتسائل لا يدري لمن أومأت زينب إلى الناس أنِ اسكتوا، فارتدّت الأنفاس، وسكنت الأجراس، ثمّ قالت: «**الْحَمْدُ لله،**

(1) من خطبة له دام ظله في صلاة الجمعة، في 27 أيلول 1985م.

(2) المفيد، الشيخ محمّد بن محمّد بن النعمان، الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، تحقيق مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1414هـ - 1993م، ط2، ج2، ص115.

(3) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج45، ص116.

وَالصَّلَاةُ عَلَى جَدِّي مُحَمَّد وَآله الطَّيِّبِينَ الأَخْيَار، يَا أَهْلَ الْكُوفَة، يَا أَهْلَ الْخَتْل والْغَدْر، أَتَبْكُونَ؟! فَلَا رَقَأَت الدَّمْعَةُ، ولَا هَدَأَت الرَّنَّةُ، إِنَّمَا مَثَلُكُمْ كَمَثَل الَّتي نَقَضَتْ غَزْلَهَا منْ بَعْد قُوَّة أَنْكَاثًا، تَتَّخذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ... أَتَبْكُونَ وَتَنْتَحبُونَ؟! إِيْ وَالله، فَابْكُوا كَثيرًا، واضْحَكُوا قَليلًا، فَلَقَدْ ذَهَبْتُمْ بِعَارِهَا وَشَنَارِهَا...»[1].

النموذج الثاني: دور النساء السياسيّ والتعبويّ في نهضة عاشوراء

1. أمّ وهب: روي أنّه بعد نزوله إلى الميدان، رجع وهب إلى أمّه قائلًا: أمّاه، أرضيتِ أم لا؟ قالت: ما رضيت حتّى تقتل بين يدي الحسين[2]!
2. زوجة زهير: على الرغم من أنّ زوجة زهير بين القين لم تشهد واقعة عاشوراء، ولكنّها كانت هي التي بعثت زوجها لنصرة الله وحرّضته على ذلك، يروي جماعة: ... فبينا نحن جلوس نتغذّى من طعام لنا، إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام، حتّى سلّم ثمّ دخل، فقال: يا زهير بن القين البجليّ، إنّ أبا عبد الله بعثني إليك لتأتينّه، فطرح كلّ إنسان منّا ما في يده، حتّى كأنّ على رؤوسنا الطير، فقالت امرأته: سبحان الله! أيبعث إليك ابن رسول الله، ثمّ لم تأتِه؟! لو أتيته فسمعت من كلامه، ثمّ انصرفت، فأتاه

(1) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، مصدر سابق، ص87.
(2) ابن نما الحلّيّ، مثير الأحزان، مصدر سابق، ص46.

زهير بن القين، فما لبث أن جاء مستبشرًا قد أشرق وجهه، فأمر فسطاطه فقُوِّض، وحمل إلى الحسين عليه السلام[1].

النموذج الثالث: دور النساء اللواتي قاتل أزواجهنّ ضدّ الإمام الحسين عليه السلام

الواضح للمتتبّع أنّ الكثيرات من نساء مجتمع الكوفة لم يقفن مكتوفات الأيدي تجاه ما جرى في كربلاء، وهناك شواهد كثيرة تثبت ذلك، منها:

1. زوجة خولي: يّروى أنّ أبا عمرة أحاط بدار خوليّ بن يزيد الأصبحيّ، وهو حامل رأس الحسين عليه السلام إلى عبيد الله بن زياد، فخرجت امرأته إليهم، وهي النوّار ابنة مالك... وكانت مُحبّةً لأهل البيت عليهم السلام، قالت: لا أدري أين هو، وأشارت بيدها إلى بيت الخلا، فوجدوه، وعلى رأسه قوصرة، فأخذوه وقتلوه[2].
2. وجاء مالك بن نسر الكنديّ بخوذته الملطّخة بالدم المبارك للإمام الحسين عليه السلام، فطردته زوجته من البيت، ولم تسمح له بالإقامة فيه.

(1) الفتّال النيسابوريّ، الشيخ محمد بن الفتال، روضة الواعظين، تقديم السيّد محمّد مهدي السيّد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي، إيران - قم، لا.ت، لا.ط، ص178.

(2) ابن نما الحلّيّ، مثير الأحزان، مصدر سابق، ص118.

المرأة في الدولة المهدويّة

1. ذكرت بعض الروايات أنّ ثمّة عددًا من النساء في أصحاب الإمام الحجّة المقرّبين. ومن خلال ذكر بعض أسماء النساء يُفهم أنّ بعضهن ممّن يرجعن من نساء العصور السابقة... رُوي عن الإمام الباقر عليه السلام: «**... ويجيء -والله- ثلاثمئة وبضعة عشر رجلًا، فيهم خمسون امرأة، يجتمعون بمكّة على غير ميعاد، قزعًا كقزع الخريف، يتبع بعضهم بعضًا**»[1].
2. تتميّز المرأة في عصر الظهور بمستوًى علميٍّ عالٍ، حتّى إنّها لتقضي بكتاب الله وسنّة رسوله، وهي في بيتها، كما عن الإمام الباقر عليه السلام: «**وتؤتَون الحكمة في زمانه، حتّى إنّ المرأة لتقضي في بيتها بكتاب الله وسنّة رسول الله**»[2].

تحدّيات المرأة في العصر الراهن

كثرت الدراسات من قبل الغربيّين والمسلمين المتفاعلين مع الفكر الغربيّ في قضيّة المرأة والأسرة، وبدأت هذه الأفكار بالتسلّل إلى المجتمعات الإسلاميّة بآثارها ومفاعيلها السلبيّة كلّها على المرأة والأسرة والمجتمع. ولهذا، ينبغي التحذير من هذه الثقافة، وبيان خطرها في المجتمع الإسلاميّ، ومن هذه الثقافات:

---

(1) العياشيّ، تفسير العياشيّ، مصدر سابق، ج1، ص65.
والقزع: السحب المتقطّعة، والمراد أنّهم يأتون متفرّقين، الواحد والاثنين وهكذا.

(2) النعمانيّ، الشيخ ابن أبي زينب محمّد بن إبراهيم، الغيبة، تحقيق فارس حسّون كريم، أنوار الهدى، إيران - قم، 1422هـ، ط1، ص245.

1. الجندريّة: وهي القائمة على أساس تغيير، بل وإلغاء الأدوار المنوطة بكلٍّ من الرجل والمرأة، بحيث يمكن للمرأة أن تقوم بأدوار الرجل، ويمكن للرجل أن يقوم بأدوار المرأة، وهذا يعني أنّ الجندرية تتنكّر لتأثير الفروق البيولوجيّة الفطريّة في تحديد أدوار الرجال.
2. توصّل الغرب إلى قناعة تامّة بأنّ السلاح الأمضى لمحاربة الأصوليّة الإسلامية هو في زعزعة كيان الأسرة، وتقديم بديل لنموذج العلاقة بين الرجل والمرأة، حيث إنّ الإسلام ينظر إلى الأسرة على أنّها القاعدة الصلبة التي تُبنى عليها القيم، والسور الذي يتصدّى لغزو الثقافة الرأسماليّة.
3. الحرّيّة: وهي ثمرة ثقافة الغرب الليبراليّة التي تتيح أمام الفرد خيارات مفتوحة ما دام لا يمسّ حرّيّة الآخرين؛ وعلى سبيل المثال، فإنّ ربط خروج المرأة من المنزل بإذن الزوج مرفوض بنظر هؤلاء؛ لأنّه يعدّ تحديدًا للحرّيّة، وكذلك تقريرًا للتمييز بين الجنسين، وكذا الأمر بالنسبة إلى قيمومة الرجل في الأسرة.
4. الاقتصاد: أهمّ شعار ترفعه أكثر الحركات المطالبة بحقوق المرأة، هو الاستقلال الماديّ والعمل للمرأة؛ فهم يرَون أنّ عمل المرأة يعزّز من ثقتها بنفسها، ويقلّل من هواجسها في المستقبل، علاوة على أنّه يحصّنهنّ ضدّ التجاوزات المحتملة للزوج.

5. استحداث منظومة حقوقيّة تنظر بعين المساواة إلى الهويّة الجنسيّة؛ بمعنى توحيد الأحكام لكلا الجنسين في قضايا مثل القضاء، الشهادة، الإرث، الدية، الزواج، الطلاق، حضانة الأسرة، وعشرات القضايا الأخرى.

الموعظة الرابعة

دور العلماء في النهضة الإيمانيّة

إنّ هدف حرب العدوّ الناعمة اليوم جعْل الناس غير مبالين بالمُثُل العليا

الهدف العامّ

التعرّف إلى أهمّيّة طلب العلم ودور العلماء في الجهاد والنهضة.

المحاور الرئيسة

- موقعيّة العلم والعلماء
- دور العلماء في النهضة الدينيّة
- الحرب الناعمة واستهداف العلماء
- العلماء خدّام الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

عن أمير المؤمنين عليه السلام: **«ذلك بأنّ مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله، الأمناء على حلاله وحرامه»**[1].

موقعيّة العلم والعلماء

كثرت النصوص الشريفة في فضل العلم والعلماء، فمنها ما دلّ على شرف العلم وفضيلة تعلّمه، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«طلب العلم فريضة على كلّ مسلم؛ فاطلبوا العلم في مظانّه، واقتبسوه من أهله، فإنّ تعلّمه لله حسنة، وطلبه عبادة، والمذاكرة فيه تسبيح، والعمل به جهاد، وتعليمه من لا يعلمه صدقة... به يُطاع الربُّ ويُعبَد، وبه تُوصل الأرحام، ويُعرف الحلال من الحرام، العلم إمام العمل والعمل تابعه، يُلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء، فطوبى لمن لم يحرمه الله من حظّه»**[2].

وحثّت مجموعة من الروايات على طلب العلم حتّى لو أدّى إلى سفك المهج وخوض اللجج، فعن الإمام زين العابدين عليه السلام:

(1) الحرّاني، الشيخ ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرِّسين بقمّ المشرَّفة، إيران - قمّ، 1404هـ - 1363ش، ط2، ص238.

(2) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج1، ص171.

«لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ لَطَلَبُوهُ وَلَوْ بِسَفْكِ الْمُهَجِ وَخَوْضِ اللُّجَجِ...»[1].

ومنها ما دلّ على وجوب بذل العلم، وتعليمه، والعمل به، فعن الإمام الصادق عليه السلام: **«قرأتُ في كتاب عليّ عليه السلام: إنّ الله لم يأخذ على الجهّال عهدًا بطلب العلم حتّى أخذ على العلماء عهدًا ببذل العلم للجهّال؛ لأنّ العلم كان قبل الجهل»**[2].

ومنها ما حثّ على استعمال العلم والعمل به ووجوب إظهاره عند ظهور البدع وتحريم كتمه إلّا لتقيّة أو خوف، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: **«إذا ظهرت البدع في أمّتي، فلْيُظهِرِ العالم علمه، فمن لم يفعل فعليه لعنة الله»**[3].

فالحكمة المستفادة من وجوب إظهار العلم، أنّ العلماء يجب أن يكونوا مستعدّين في الأزمان كلّها للدفاع عن الدين، ودحض الشبهات والبدع والانحرافات.

دور العلماء في النهضة الدينيّة

إنّ المتتبّع لسير العلماء على امتداد التاريخ يجد أنّهم ورثة الأنبياء والأئمّة في النهضة الدينيّة وحماية المسلمين، ويكفي أن

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص35.
(2) المصدر نفسه، ج1، ص41.
(3) المصدر نفسه، ج1، ص54.

نشير إلى نماذج من جهاد العلماء وحضورهم في جميع ساحات التبليغ والجهاد.

الفقيه الكبير ابن ملّي الأنصاريّ البعلبكيّ يتصدّى للتتار

إنّه نجم الدين أحمد بن مُحَسِّن بن ملّي الأنصاريّ البعلبكيّ (617 - 699هـ/ 1220 - 1299م)، أوّل فقيه شيعيّ إماميّ أنجبته بعلبك، وأحد أذكياء الرجال وفضلائهم في الفقه والأصول والطبّ والفلسفة والعربيّة والمناظرة. كان متبحّرًا في العلوم، كثير الفضائل، أسدًا في المناظرة، فصيح العبارة، ذكيًا متيقّظًا، حاضر الحُجّة، حادّ القريحة، مقدامًا، إلّا أنّ النقطة المضيئة في سيرته إلى حدّ السّطوع والتألّق، ما كان يتحلّى به من صفات، وخصوصًا الإقدام والشجاعة. وقد نجح في أن يكون ضمير قومه، بل أمّته في لحظة من أشدّ اللحظات وأقساها يوم اجتاح التتار «دار الإسلام» من مشرقها، ذلك الاجتياح المهول للمنطقة الشاميّة، ومنها وطن ابن ملّي «بعلبك». فنظّم ابن ملّي وقاد حرب عصابات شعبيّة ناجحة في وجههم في بعلبك وجبالها، في وقت تهاوت العروش، ولم تثبُت الجيوش النظاميّة، من تركستان إلى أبواب مصر. وتلك مبادرة فريدة في تلك الأيّام السوداء، وذلك درس حقيق أن يُقرأ اليوم ويُستعاد.

وقد نجح ابن ملّي في تنظيم الشيعة لأوّل مرّة بعد أن اضطرب وضعهم بسبب الغزو الصليبيّ وما تلاه.

السيّد عبد الحسين شرف الدين والنهضة العامليّة

لمّا انتهت الحرب العالميّة الأولى عام 1918م إلى هزيمة الدولة العثمانيّة، احتلّت كلّ من فرنسا وبريطانيا هذه البلاد، فقام السيّد عبد الحسين شرف الدين يعلن الثورة المسلّحة في جبل عامل ضدّ المستعمرين مجاهرًا بذلك، قائلًا: «وكان استقبالنا للاحتلال الفرنسيّ استقبالًا صاخبًا محتجًّا، يواجهها بالرفض والمصارحة والميل عنها ميلًا لا هوادة فيه ولا لين». وقد أفتى بالجهاد ضدّ المستعمر، فحكموا عليه بالإعدام وطاردوه، وكان قوله دائمًا:

إنْ لمْ أقفْ حيثُ جيشُ الموتِ يزدحمُ
فلا مشَتْ بي في طُرق العُلا قدمُ

ولما عُقد مؤتمر وادي الحجير في 24 نيسان سنة 1920م. لتقرير مصير جبل عامل في تلك الفترة الحرجة، تزعّم السيد شرف الدين ذلك المؤتمر... الذي وصفه أديب جبل عامل محمّد علي الحوماني بكلمات طويلة أثنى فيها على دور السيّد شرف الدين، منها: «ولمّا جلست في خيمة العلماء، حفّوا بك، وتهافت الحفل المحشود عليك، كلّهم يحدّق بك ويستمع إليك وأنت مندفع كالسيل، تبعث في نفوسهم الحميّة وتحرّضهم على الجهاد في سبيل الحقّ». فهذه الحرارة في الانفعال والحماسة والتقدير للزعامة الدينيّة المتمثّلة بشخصيّة السيّد شرف تعطينا

صورة واضحة عن دور العلماء الفعّال في إدارة الثورة والمقاومة الإسلاميّة ضدّ الانتداب الفرنسيّ.

نكبة فلسطين في ضمير العلماء

وجّه السيّدان محسن الأمين وعبد الحسين شرف الدين، إثر نكبة فلسطين 1948م، نداءين إلى المسلمين والعرب.

1. نداء السيّد محسن الأمين

«أيّها العرب، أيّها المسلمون، إنّ لكم في فلسطين تراثًا، وإنّ لكم في كلّ غور ونجد وحزن وسهل منها دمًا عُجن به ترابها، واختلط به ماؤها ونباتها... إنّ إخوانكم في فلسطين قد أقضَّ مضاجعهم ما هم فيه من مِحَن وبلاء، وأسهر عيونهم وبوَّح إحساسهم ما يلاقون من كيد الخصوم».

2. نداء السيّد عبد الحسين شرف الدين

«أيّها العرب، أيّها المسلمون، هذا شهر المحرّم الدامي الذي انتصرت فيه عقيدة، وبُعث فيه مبدأ. ألا وإنّ قتلة الحسين عليه السلام، بكر في القتلات، فلتكن قدوتنا فيه بكرًا في القدوات، ولنكن نحن من فلسطين، وكان سيّد الشهداء من قضيّته. وليكن لنا ولفلسطين ما كان له ولقضيّته من مجد وخلود».

السيّد عبّاس الموسويّ نبراس الجهاد والشهادة

في أوائل شهر حزيران من عام 1982م. كان اجتياح العدوّ

الإسرائيليّ للبنان، فقام السيّد عبّاس الموسويّ وثلّة من العلماء بمساعدة حرس الثورة الإسلاميّة، بتهيئة الجوّ على مستوى الإعداد العسكريّ ليتحوّل المجتمع إلى مجتمع مقاومة. وهذا ما حصل، وبدأت الدورة الأولى، وكان السيّد عباس وجزء من طلّابه في حوزة الإمام المنتظر وأساتذتها من بين الذين خضعوا للدورة. واستطاع السيّد عبّاس من خلالها أن يحقّق نتيجتين طيّبيتين، فهو ركّز طلّابه من خلال إخضاعهم بما خضع له ليكونوا بالمستوى المطلوب في هذه المرحلة الصعبة، وهو - ثانيًا- فتح باب الجهاد على مصراعيه أمام أبناء الأمّة الذين رأَوا علماء الإسلام في مقدّمة المسيرة.

أنشطة السيّد عبّاس (رضوان الله عليه) التوعويّة عُقَيْب الاجتياح

في المرحلة التي أعقبت اجتياح العدوّ الإسرائيليّ، تركّزت أنشطة السيّد عبّاس الموسويّ (رضوان الله عليه) في محاور عدّة:

- خطاب استنهاضيّ.
- تثبيت صلاة الجمعة في بعلبك، وتحوّلت الصلاة العباديّة السياسيّة إلى موقع قويّ من مواقع التعبئة الروحيّة والجهاديّة.
- مضاعفة الجهد في مجال الاستنهاض والتوعية والتبليغ.
- السعي الحثيث من أجل تحقيق الوحدة الإسلاميّة، وقد رفعت الثورة الإسلاميّة هذا الشعار، وطلبت من المسلمين أن

يحقّقوه في أوساطهم، ليوجهوا من خلال ذلك ضربة كبيرة إلى الاستكبار العالميّ.

الشيخ راغب حرب قدوة العلماء والمجاهدين

نتيجة لحركة الشيخ راغب (رضوان الله عليه) في استنهاض الناس لمواجهة المحتلّ ولو بالتكبير، قرّر الصهاينة الذهاب بقوّتهم إلى بيت الشيخ.

تقول عمّته: كنّا جلوسًا على سطح مرتفع قليلًا، عصر يوم عيد الأضحى، وإذا باليهود قد أقبلوا في دبّاباتهم، وهنا خفت وخشيت القبض على الشيخ، فصرخت: «يا شيخ اهرُب، فقد أتى اليهود»، فقال: لا تهتمّي يا عمّة.

ثمّ قال الشيخ للضابط: ماذا تريدون؟ (وكان الشيخ دون عمامته).

ـ أين الشيخ راغب؟

ـ أنا الشيخ راغب.

ـ قال الصهيونيّ: انزل من على السطح.

ـ لا أنزل، ولا أقبل أن تصعدوا.

ـ نصعد بالقوّة!

ـ لكن لا أقبل.

ـ مدّ الصهيوني يده، علت بسمة ساخرة شفتي الشيخ، ولم يمدّ

يده، سأله الصهيوني: ألا تصافحني؟

ـ قال الشيخ: لا.

ـ قال الصهيونيّ: لِمَ؟

أجاب الشيخ بصوت عالٍ: لا أسلّم.

فصار اليهوديّ يرجف غضبًا، وهو يقول: أنا نجس! أنا نجس!

ثمّ أخفى غصّته قائلًا: أريد أن أتكلّم معك ونتفاوض.

ـ لا أتكلّم معك؛ لأنّك محتلٌّ لأرضي، وإسلامي لا يقبل التفاوض والمداهنة معكم، ولن أضيفكم أو أستضيفكم في بيتي حتّى الجلاء عن وطني وعن بيت المقدس.

ـ نحن جيش دفاع، وليس جيش احتلال.

ـ اذهب من هنا أنت وجنودك.

ـ من سمح لك أن تطردنا؟

ـ وأنتم من سمح لكم أن تدخلوا؟

ـ الفلسطينيّون احتلّوا أرضكم منذ ثلاثين سنة، فلِمَ لم تطردوهم؟!

ـ أنتم طردتموهم من ديارهم، فآويناهم، وهم ليسوا بمحتلّين.

وبعد أن احتدّ الجدال دون جدوى، خرجوا وهم يتمتمون: جيش الدفاع يأخذ أكبر منك.

ـ فردّ الشيخ: الله أكبر من الجميع.

الخطط الأمريكيّة لاستهداف الدين

نرى في العديد من الدراسات والتقارير التي أصدرتـــها المؤسّسات الأمريكيّـــة، التخطيط المسبق والعلنيّ لاستهداف تعاليم الدين الإسلامـــيّ؛ كـونها تشكّل الخطر الأبرز على سياسات الولايات المتّحدة الراغبة في إعادة صياغة العالم الإسـلامـيّ بصورة جديدة تنسجم بالكامل مع السياسات والاستراتيجيّات الأمريكيّة.

أصـدر مركز «رانــد» للدراسات الإستراتيجية العديد من الدراسات التي خطّطت لاستهداف الإسلام، وكان من أبرزها دراسة «بناء شبكات إسلاميّة معتدلة». إنّ الهدف المعلن من الدراسة تغيير الإسلام، باعتبار أنّ تحقيق الأهداف الأمريكيّة لا ينسجم مع المعتقدات والتعاليم الإسلاميّة. واللّافت في التقارير تركيزها على عناوين، من أبرزها:

1 - التشديد على ضرورة إنتاج إسلام معتدل؛ والواقع أنّ المعيار الوحيد الذي يميّز المعتدل عن سواه، حسب الفهم الأمريكيّ، تطبيق الشريعة أو عدم تطبيقها؛ إذ إنّ عدم تطبيق الشريعة الإسلاميّة هو مؤشّر على وجود الإسلام المعتدل.

2 - معالجة معتقدات في الفهم الأمريكيّ، وأفكار الإسلام لتنسجم بالكامل مع الفكر الليبراليّ الغربيّ؛ وهنا، وعلى سبيل المثال، ذكرت التقارير الأمريكية عناوين، من أبرزها: الإسلام المعتدل

هو الذي يعتقد بالديمقراطيّة الغربيّة، وهو الذي يعتقد بعدم ضرورة حاكميّة الإسلام.

3 - الدخول إلى تفاصيل أكثر حساسيّة تتعلّق بالدور والوظيفة الإسلاميّة؛ والمقصود بالتحديد دور «المسجد»، إذ يُعتبر المسجد المكان الأساس الذي ينطلق ويشعّ منه الإسلام إلى عقول الناس. لذلك، وفي الفهم الأمريكيّ، لا بدّ من تغيير وظيفة المسجد ليكون ساحة للمعارضة.

الحرب الناعمة على الدين والعلماء

من جملة ما يتمّ استهدافه بالحرب الناعمة على اختلاف أساليبها وتنوعها، هو ضرب صورة القدوة والرمز.

يعمل المعتدي وبالأساليب والأدوات كافّة على إسقاط صورة القدوة والرمز في الدين والمعتقد الإسلاميّ؛ وذلك بالتصويب على شخصيّة الوليّ الفقيه، والمرجع، وعالم الدين وشخصية المتديّن، فيسوّق العديد من الافتراءات التي تتعلّق بسلوكه ومعتقده؛ ما يؤدّي إلى إسقاطه كنموذج.

تبرز أهميّة هذه القضيّة بالأخصّ في ما يتعلق بالوليّ، حيث إنّ المعتدي يحاول التصويب على مفهوم القيادة وشخص القائد؛ باعتبار أنّ سقوط القائد يؤدي إلى سقوط المنظومة بأكملها.

من هنا، نجد الإمام الخامنئيّ دام ظله يقول: «الهدف الرئيس للأعداء في هذه المرحلة من الحرب الناعمة، هو التحضير لتفريغ

النظام من عناصر ومكامن قوّته الداخليّة»[1]، ويقول أيضًا: «إنّ هدف حرب العدوّ الناعمة اليوم... جعْل الناس غير مبالين بالمُثل العليا. طبعًا، يتجرّأ المُعتدي على القدوة والرمز متسلّحًا بادّعاءات حرّيّة التعبير، والنقاش الهادئ والشفّاف، والواقع غير ذلك؛ إذ إنّ أعماله لا تتجاوز الاتّهام وترويج الإشاعات والافتراءات...»[2].

العلماء خدّام الإمام المهديّ عجل الله فرجه

لقد مدح أئمّة أهل البيت عليهم السلام العلماء، ووصفوهم بأروع العبارات، وكانوا يترحّمون عليهم، مع أنّ العلماء كانوا في عصر حضور المعصوم عليه السلام، فكيف بمن كان في عصر الغيبة، هذا الزمان الذي تكثر فيه مضلّات الفتن والأكاذيب والبدع؟!

إنّ العلماء هم من أبرز مصاديق خدّام الإمام المهديّ عليه السلام، هؤلاء الذين أفنوا أعمارهم في خدمة الإسلام والمجتمع الإسلاميّ، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(1) من كلام له دام ظله، بتاريخ 2016/5/26م.

(2) من كلام له دام ظله، بتاريخ 2016/10/2م.

الموعظة الخامسة

العزّة ودورها في الانتصار

وبكلّ قوّة واقتدار تُسقط الجمهوريّة الإسلاميّة طائرة التجسّس الأمريكيّة مبتنية للعالم مسارها منذ لحظة الانطلاق، دون أن يجرؤ الأمريكيّ على الردّ

الهدف العامّ

بيان أنّ عزّة الأمّة من عزّة قادتها.

المحاور الرئيسة

- معنى العزّة
- العزّة لله -تعالى-
- عزّة أولياء الله
- عزّة سيّد الشهداء عليه السلام
- عزّة القائد

عن الإمام الحسين عليه السلام: «**ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد تركني بين السلّة والذلّة، وهيهات له ذلك منّي! هيهات منا الذلّة!**»[1].

من الموضوعات المحوريّة التي ترتكز عليها الثورة الحسينيّة العظيمة، ذلك الشعار الخالد الذي أطلقه سيّد الشهداء عليه السلام، «**هيهات منا الذلّة**»، فالابتعاد عن المذلّة هو طلب العزّة بالله -تعالى-.

معنى العزّة

ينقل العلّامة الطباطبائيّ قدس سره: العزّة تقابل الذلّة، قال الراغب: العزّة حالة مانعة للإنسان من أن يُغْلَبَ، من قولهم: أرض عزاز؛ أي صلبة.

قال -تعالى-: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[2].

فعزّة العزيز هي كونه بحيث يصعب نيله والوصول إليه، ومنه عزيز القوم وهو الذي يَقهَرُ ولا يُقهَر؛ لأنّه ذو مقام لا يصل إليه من قصده دون أن يمنع قبل الوصول إليه ويقهر.

---

(1) الطبرسيّ، الشيخ أبو منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب، الاحتجاج، تعليق السيّد محمّد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، العراق - النجف الأشرف، 1386هـ - 1966م، لا.ط، ج2، ص24-25.

(2) سورة النساء، الآية 139.

ومنه العزيز لما قلّ وجوده لصعوبة نيله.

ومنه العزيز بمعنى الشاقّ؛ لأنّ الذي يشقّ على الإنسان يصعب حصوله، قال -تعالى-: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[1].

ومنه قوله -تعالى-: ﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلْخِطَابِ﴾ [2]؛ أي غلبني على ما فسّر به.

العزّة لله -تعالى-

والله -سبحانه- عزيز؛ لأنّه الذات الذي لا يقهره شيء من جهة، وهو يقهر كلّ شيء من كلّ جهة؛ ولذلك انحصرت العزّة فيه -تعالى-، فلا توجد عند غيره إلّا باكتسابٍ منه وبإذنه، قال -تعالى-: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[3]، وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾[4] [5].

وقد ورد في سورة (المنافقون) تصوير لما كان يدور على ألسنة المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[6]. فالمنافقون كانوا يرَون أنفسهم أصاحب المنعة والقوّة استنادًا

(1) سورة التوبة، الآية 128.
(2) سورة ص، الآية 23.
(3) سورة النساء، الآية 139.
(4) سورة فاطر، الآية 10.
(5) العلّامة الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج12، ص10-11.
(6) سورة المنافقون، الآية 8.

إلى الأسباب الدنيويّة الضيّقة، وما يملكونه من إمكانيّات ماديّة، ودهاء وعلاقات وسوء طويّة، فتبانوا على التعرّض للمؤمنين والسعي لإخراجهم من المدينة المنوّرة، استنادًا إلى قلّة المسلمين عدّةً وعددًا، فجاء الخطاب الربّانيّ واضحًا في الردّ على هؤلاء، وكاشفًا عمّا يتداولونه في مجالسهم ونواديهم، وموضّحًا أنّ الباري -تعالى- هو مصدر القوّة والمنعة لمن التجأ إليه ولاذ به وتقلّب في طاعته. فالعزّة لا تستند إلى المعايير الماديّة مهما بلغت؛ لأنّها ستبقى محدودة في إطار هذه الحياة الضيّقة، في حين أنّ العزّة الحقيقيّة لخالق السماوات والأرض ومن التجأ إلى حصنه، وسلك دروب هدايته.

العزّة الموهومة

قد يتصوّر من يغفل عن السنن الإلهيّة والبصيرة الربّانيّة أنّ الحصول على المكانة والقدرة والمنعة لا يتمّ إلّا من خلال الالتصاق والالتحاق بركب أصحاب القدرة والتفوّق ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾[1]، وهذا تأكيد آخر على الاشتباه الذي يقع فيه البشر مرّة بعد أخرى. تمامًا كحال الأعراب المعاصرين الذين مردوا على النفاق، فهم يخسرون في كلّ يوم من رصيدهم على

(1) سورة النساء، الآية 139.

جميع المستويات، من ماء الوجه لو وجد، ومن السلطة الموهومة المزعومة، ومن المكانة في قلوب أتباعهم، ومن كنوزهم التي يصرّح من يلوذون به على الدوام من السلطة الأمريكيّة وغيرها أنّها مرادهم وهدفهم ومبتغاهم، وأنّها حقه مقابل ما يبذله في تثبيتهم على عروش طغيانهم، ويستحقرهم ويستهزئ بهم، وينال من كرامتهم في المجالس العامّة وعلى الملأ، وهم مصرّون على اتّباعه والالتجاء إليه.

ولو نظرنا في جنبات الكتاب المجيد لرأينا الكثير من تلك المشاهد. ففي قصّة قارون يقول -تعالى-: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[1]، ويقول-تعالى-: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾[2]. والأمثلة تطول، كما في غرق فرعون، من نماذج التعزّز بالدنيا والركون إليها.

عزّة أولياء الله

وفي المقابل، نرى كيف يتلذّذ أمير المؤمنين عليه السلام في مناجاته: «**إلهي، كَفى بي عزًّا أَنْ أَكُونَ لَكَ عَبْدًا، وَكَفى بي فَخْرًا أَنْ تَكُونَ لِي رَبًّا، أَنْتَ كَما أُحِبُّ فَاجْعَلْنِي كَما تُحِبُّ**»[3].

(1) سورة القصص، الآية 79.

(2) سورة القصص، الآية 81.

(3) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج74، ص400.

فالعزّة الحقيقيّة أن نكون كما يحبّ الله -تعالى- لنا؛ فإنّه لا يريد لنا إلّا الخير والكمال. وطريق ذلك التسليم والعبوديّة المطلقة لله -تعالى-، حيث تستبطن الاعتراف بحقيقة الضعف والعجز الذي يستدرّ الرحمة والرأفة، ويؤدّي إلى العزّة.

عزّة سيّد الشهداء عليه السلام

الذلّة هو أن لا يبقى للقيم وجود في حياتنا، ولا تبقى لنا قيمة في وجودنا، فنهيم كما البهائم خلف غرائز لا تزيد الإنسان إلّا تردّيًا وسقوطًا، قال-تعالى-: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ﴾[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من أراد عزًّا بلا عشيرة، وهيبة من غير سلطان، وغنًى من غير مال، وطاعة من غير بذل، فليتحوّل من ذلّ معصية الله إلى عزّ طاعته، فإنّه يجد ذلك كلّه**»[2].

فكلّ ما يريده الإنسان من مكانة يمكن أن يحقّقه عندما ينتسب إلى حزب الله النجباء، فيحصِّل العزّة والهيبة والغنى والمكانة بطاعة الباري -تعالى- واللجوء إليه، ويؤدّي ما عليه من واجبات، ويقف في وجه حزب الشيطان الطلقاء.

---

(1) سورة الأعراف، الآية 179.

(2) الطوسيّ، الشيخ محمّد بن الحسن، الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلاميّة - مؤسّسة البعثة، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، إيران - قم، 1414هـ، ط1، ص524.

وهو ما دفع سيّد الشهداء عليه السلام للخروج، ضنًّا بخسارة قرب الله وعزّه، معلنًا على الملأ مقالته: «**... ألا وإنّ الدعيّ ابن الدعيّ قد تركني بين السلّة والذلّة، وهيهات له ذلك منّي! هيهات منّا الذلّة! أبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وحجور طهُرت وجدود طابت، أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**»[1].

عزّة القائد

وقد خطّت هذه المدرسة للأحرار نهجًا لم يحيدوا عنه على امتداد التاريخ. والشواهد على ذلك كثيرة قد شهدناها وعاصرناها، ولا زلنا نرى صورها يوميًّا.

1. الإمام الخمينيّ قدس سره

عندما سلك إمامنا الخمينيّ قدس سره طريق تحقيق حلم الأنبياء، رفض -وبكلّ عزّة وشموخ- أن تستند الثورة إلى أيٍّ من قطبي العالم من الغرب والشرق، معلنًا مقالته: «لا شرقيّة ولا غربيّة»، فانبرى المؤمنون متوكّلين على الله -تعالى-، ليشهد العالم تلك المعجزة الربّانيّة لفئة آمنت بربّها فزادها هدًى، وتوكّلت عليه فكان حسبها.

2. الإمام الخامنئيّ دام ظله

كما نراها اليوم في المواقف الشامخة للإمام الخامنئيّ دام ظله

(1) الطبرسيّ، الاحتجاج، مصدر سابق، ج2، ص24-25.

وهو يقود الأمّة، ولا يخاف في الله لومة لائم، فيعلن الموقف بكلّ شموخ وإباء من السلطة التي تحكم دولة الحجاز، وتعتدي على القيم الإسلاميّة، وبالعزّة نفسها يخاطب مجتمع الغرب، ويبيّن ركاكة أنظمته ومدى الوهم الذي يعيشون فيه. وحين تعلن الإدارة الأمريكيّة حصارها لدولة مولانا صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف، يقف -وبكلّ حزم- نافيًا وجود الحرب، وكأنّه يقول إنّ كلامهم جعجعة من غير طحين، وفي الوقت نفسه يعلن رفض التفاوض معهم.

وأمام الشاشات العالميّة يستقبل رئيس الحكومة اليابانيّة، ويرفض تسلّم الرسالة الأمريكيّة، معلنًا أن مثله لا يخاطب مثل الرئيس الأمريكيّ، ليذكّرنا بكلام جدّه الحسين عليه السلام: «**ومثلي لا يبايع مثله**»[1].

وبكلّ قوّة واقتدار تُسقط الجمهوريّة الإسلاميّة طائرة التجسّس الأمريكيّة مبيّنة للعالم مسارها منذ لحظة الانطلاق، دون أن يجرؤ الأمريكيّ على الردّ، وهو تمامًا ما أعلن عنه سماحة القائد من أنّهم غير مؤهّلين للحرب ولا جديرين بها.

3. سماحة السيّد حسن نصر الله حفظه الله

وعلى النهج نفسه، ومن المدرسة الولائيّة نفسها يعلن الأمين العام في معرض الردّ على الموفد الأمريكيّ الذي أراد الضغط على الدولة اللبنانيّة بخصوص صواريخ المقاومة الكاسرة للتوازن، أنّ

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج44، ص325.

المقاومة عندما تنفي شيئًا وقادتنا يتحدّثون عن شيء، فهم أصدق من ساسة العالم كلّه، ولدينا الجرأة التامّة لنواجه كلّ احتمال، ويطلب من الدولة أن لا تسمح للسلطة الأمريكيّة بأن تتدخل بما لا يعنيها، ثمّ يخاطبها مباشرة بأنّنا مقابل هذا الضغط قد نتّخذ القرار الجدّيّ بإنشاء مصانع للصواريخ الدقيقة.

وعلى هذا النهج نعمل من أجل التمهيد لدولة صاحب الزمان عجل الله فرجه وسهل مخرجه، نؤدّي الواجب والتكليف ولا نخشى في الله لومة لائم، ونتوكّل على الباري -تعالى-؛ لأنّه لا مذلّ لمن أعزّ الله.

الموعظة السادسة

تأثير الاعتقاد بالإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف

سيّدنا ومولانا، ادعُ لنا، أنت صاحبنا، أنت صاحب هذه البلاد، أنت صاحب هذه الثورة، وأنت الدعم والسند لنا!

الهدف العامّ

التعرّف إلى أهمّيّة أثر الاعتقاد بالإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف على المجتمع الشيعيّ.

المحاور الرئيسة

- **آثار الاعتقاد بإمامٍ غائبٍ حيّ**
- **طاعة مَنْ أَمَرَ الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف بطاعته**

عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم: «**أفضل أعمال أمّتي انتظار الفرج من الله -عزّ وجلّ-**»[1].

إنّ قضيّة المهدويّة من القضايا الأساسيّة في الإسلام، ولا ينفرد بها الشيعة دون سواهم، إنّما تذهب الفرق الإسلاميّة بأجمعها إلى أنّ المهديّ عجل الله فرجه الشريف من النسل الطيّب الطاهر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّه سيملأ العالم قسطًا وعدلًا، وسيظهر لإقامة دين الله وبسط الحقّ. كما ويعتقد غير المسلمين بنحوٍ أو بآخر بمستقبل مشرق للبشريّة.

أمّا الخاصيّة التي تتفرّد بها العقيدة الشيعيّة في هذا المجال، فهي عدم وجود أيّ غموض فيها؛ لأنَّ الشيعة يحيطون بتفاصيل هذا الموضوع كلّه، وعلى معرفة تامّة بشخصيّة المهديّ عجل الله فرجه الشريف؛ فنحن نعرف وليّنا وسيّدنا وإمامنا، وسيّد العالمين، ونعرف أباه وأمّه وتاريخ ولادته، وكلّ ما يتعلّق بولادته المباركة، وهنالك من نقلوا هذه القضايا بأخبار صادقة موثّقة؛ ومعنى هذا أنّنا على بيّنة

(1) الصدوق، الشيخ محمّد بن علي بن بابويه، كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين بقمّ المشرّفة، إيران - قم، 1405هـ - 1363 ش، لا.ط، ص644.

بمن نحبّ وبمن نؤمن ونعتقد. وهو موجود اليوم بين ظهرانينا، إلّا أنّ الحكمة الإلهيّة اقتضت أن نعيش هذا الانتظار الكبير، وأن يعيش الإمام ذاته مثل هذا الانتظار أيضًا؛ انتظار ذلك اليوم الذي يظهر فيه بنهضة كنهضة الأنبياء تنتهي بنصر ساحق على جبهة الكفر والنفاق، وينقذ العالم من الظلم والجور والتمايز والتسلط والاستغلال؛ وسيأتي ذلك اليوم ويتحقّق هذا الوعد[1].

آثار الاعتقاد بإمامٍ غائب حيّ

إنّ آثار الاعتقاد بالإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف كآثار الاعتقاد بالله وبالحضور الإلهيّ، ونحن نعتقد أنّ لله -عزّ وجلّ- حضورًا إحاطيًّا بهذا الكون كلّه، لا تشذّ ذرّة منه إلّا ولله قيموميّة وإحاطة بها، ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾[2].

والاعتقاد بالمهديّ عجل الله فرجه الشريف هو اعتقاد بأنّ هذه القيموميّة والإحاطة الإلهيّة متجسّدة على الأرض في شخص يعيش عليها، فالاعتقاد بالمهديّ عجل الله فرجه الشريف اعتقادٌ بقيموميّة الله المتجسّدة في الأرض، وبالتالي فالآثار هي الآثار، فما هي هذه الآثار؟

1. الارتداع عن المعصية

عندما يؤمن الإنسان ويصل إيمانه إلى الشعور بأنّ ثمّة رقابةً على سلوكه، وأنّ إمامًا بشرًا حيًّا يعيش بين ظهرانينا، ويشهد

(1) من خطاب للإمام الخامنئيّ دام ظله، في الخامس عشر من شهر شعبان 1419هـ.ق.
(2) سورة آل عمران، الآية 2.

أعمالنا، كما ذكر القرآن الكريم: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا﴾[1]، والرسول شهادته تمتدّ في أولاده إلى الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، عندما تعتقد أنّ شهادة الله عليك متجسّدةً تجسّدًا حسيًّا في إمام حيّ يشهد أعمالك ويراقبك، والشعور بالرقيب رادعٌ عن المعصية وعن الإقبال على الرذيلة. وفي هذا المجال يؤكّد أئمّتنا عليهم السلام أنّ صحيفة أعمالنا تعرض كلّ يوم على الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف، وأنّنا بحاجة إليه في كلّ صغيرة وكبيرة؛ في الدنيا، وعند سكرات الموت، وعند النزول في القبر، وأنّ من جملة الأسئلة التي توجّه إلينا هو عن إمامنا، فإنّنا سنحاول تهذيب أنفسنا أكثر فأكثر؛ وهذا هو المعنى الأصيل والحقيقيّ لانتظار الفرج، فهو يعني أن تستقبل الإمام الحجّة عجل الله فرجه الشريف بأعمالك الحسنة، وبتهذيب نفسك وتزكيتها، وتنمية المعاني الخيّرة فيها، خصوصًا مع معرفتنا أنّه إن صدر عنّا خير وصلاح سرّه ذلك، وإن كان شرًّا أو إثمًا أساءه وأحزنه.

2. الأمن النفسيّ

يعيش الإنسان بطبعه نزعة الخوف، سواء كانت من كوارث الطبيعة أو الموت أو الأمراض أو الفتن أو الفقر أو غيرها. ولو أصغى الإنسان لنزعة الخوف لم يستطع أن يقاوم أمرًا من الأمور؛ لذلك يحتاج الإنسان إلى طاقة من الأمن، وهذه الطاقة التي تصبغ

(1) سورة البقرة، الآية 143.

على قلبه أجواءً من الأمن والاستقرار والدعة والاطمئنان، وقد عبّر عنها القرآن الكريم بذكر الله -تعالى-: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾[1]، من هو ذكر الله؟ الإمام الذي يمثّل الله هو ذكر الله؛ لذلك يقول -تعالى-: ﴿قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۝١٠ رَّسُولًا يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾[2]، فالرسول هو الذكر.

ونقرأ في الزيارة الجامعة: «**السلام على محالّ معرفة الله، ومساكن بركة الله، ومعادن حكمة الله، وحفظة سرّ الله، وحملة كتاب الله**»[3]، هم ذكره؛ لأنّهم هم الذين يجسّدون عبادته الحقيقيّة وذكره الحقيقيّ على الأرض. لذلك، ذكر الله بذكر الإمام يزرع في قلبك الهدوء والاستقرار والاطمئنان؛ لأنّك تشعر بأنّ ثمّة من يمدّك بالحيويّة والنشاط، ويبعث في قلبك الأمل، ليبدّد منك الخوف والهواجس. ولا ينبغي نسيان تلك الكلمات الوجدانيّة التي أطلقها الإمام الخامنئيّ دام ظله عقيب فتنة 2009م، والتي خاطب بها الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف بتلك العبارات الصادقة، والتي تنمّ عن عمق الولاء والاعتقاد، حيث قال: «أخاطب مولانا وصاحب زماننا بقيّة الله -أرواحنا فداه-، يا

(1) سورة الرعد، الآية 28.

(2) سورة الطلاق، الآيتان 10-11.

(3) الصدوق، الشيخ محمّد بن علي بن بابويه، عيون أخبار الرضا عليه السلام، تصحيح الشيخ حسين الأعلميّ، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، لبنان - بيروت، 1404هـ - 1984م، لا.ط، ج2، ص305. الزيارة الجامعة الكبيرة، مفاتيح الجنان.

سيّدنا ويا مولانا، قمنا بما كان على عاتقنا، قلنا ما كان علينا أن نقوله، حياتي لا قيمة لها، جسمي ضعيف، وسمعتي المتواضعة اكتسبتها منك يا مولاي، إنّي أحمل هذا كلّه على كفّي، وسأقدّمه من أجل الإسلام، ومن أجلك يا مولاي. سيّدنا ومولانا، ادعُ لنا، أنت صاحبنا، أنت صاحب هذه البلاد، أنت صاحب هذه الثورة، وأنت الدعم والسند لنا. إنّنا سنستمر في هذا الطريق بكلّ قوّة، وأعنّا على هذا بدعائك وحمايتك وبتوجهك». ولذلك، فإنّ على كلّ إنسان مؤمن أن يجدّد عهده مع الإمام في كلّ يوم عبر الأدعية والزيارات المأثورة.

3. البهجة والسعادة

العلاقة بالإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف والاعتقاد بوجوده يزرعان درجةً من المحبّة في النفس، يعيش المعتقِد لذّتها وحلاوة طعمها، فينفي عن نفسه الأحزان والأكدار، مهما طرأت عليه المصائب والنوائب؛ لأنّه يعيش الحبّ الحقيقيّ لله من خلال هذه العلاقة، ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[1]. والمودّة للقربى لها درجات ومراتب، من أعلاها: الشعور بالمحبّة التي تربطك بالإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف. ولذلك نرى علامات البشر والسعادة بادية في وجوه المجاهدين المحبّين، ولكلماتهم في وصاياهم الأثر البارز في تعبيرهم عن مستوى علاقتهم وارتباطهم بالإمام عجل الله فرجه الشريف.

(1) سورة الشورى، الآية 23.

4. تعزيز روحيّة الإنسان المؤمن

إنّ مجرّد الإيمان والاعتقاد بوجوده وحضوره عليه السلام في هذا العالم على الرغم من عدم معرفة شخصه، من شأنه أن يخلق الأمل والطموح لدى المؤمنين، ويهوّن لديهم المصاعب والمعضلات، ويزيل همومهم وآلامهم... ولذلك فإنّ المؤمنين الصادقين لم يعرفوا الهزيمة والانكسار المعنويّ في صراعهم مع أهل الباطل والكفر والعدوان والإلحاد.

نعم؛ قد يُهزمون عسكريًّا فلا ينالون النصر في معركة ما، ولكن هذه الهزيمة لا يمكن أن تنال من معنويّاتهم ما دامت الغلبة في نهاية المطاف لا تكون لأهل الظلم والجور، ومادام هناك في هذا العالم إمام لا بدّ من أن يظهر ويأخذ بثأر المظلومين كلّهم على امتداد تاريخ العمل والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله -عزّ وجلّ-.

5. الأجر والثواب الإلهيّان

تعدّ الروايات الشريفة انتظار الفرج من أفضل العبادات، فالله -تبارك وتعالى- يكتب لنا الأجر الجزيل لرسوخ عقيدتنا بالمهديّ عجل الله فرجه، ولدعائنا الكثير الدائم له بالظهور ووقوع الفرج بهذا الظهور المبارك، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «**أفضل أعمّال أمّتي انتظار الفرج من الله -عزّ وجلّ-**»[1]، وجاء أيضًا: «**أفضل العبادة**

(1) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، مصدر سابق، ص644.

انتظار الفرج»[1]، فلولا انتظار الفرج ليئس المؤمنون من جهادهم وعملهم في سبيل الإسلام ورفعة كلمته، ولضاقت صدورهم حيـن وقوع البلايا والمصائب وتوالي المحن والآلام عليهم. بلى، لولا انتظار الفرج لما وثبوا إلى ساحات العمل والجهاد والبذل والتضحية بالمال والأنفس في سبيل الله.

ونحن لو نظرنا إلى المجاهدين والعاملين في طريق الإسلام وفي مجالات الخير والصالحات، لوجدناهم جميعًا ممّن يحبّون الإمام، وينتظرون خروجه وفرجه، وهذا يعود إلى كون قلوبهم حيّة طريّة عامرة بالإيمان والأمل.

6. الاستعداد النفسيّ والجسميّ

بما أنّ الظهور المبارك غير معلوم أوانه؛ فهذا يقتضي الاستعداد النفسيّ والجسميّ على الدوام. والمطلوب من المعتقِد بالإمام عجل الله فرجه الشريف أن يكون مهيّئًا مدرّبًا نشيطًا مستعدًّا للتضحية على طول الخطّ، مضافًا إلى الاستعداد الأخلاقيّ، والتزكية النفسيّة، فالحجّة المنتظَر إنّما يريد أناسًا طاهرين مخلصين، وهذا ما يجب أن نبنيه في أنفسنا، ونغرسه في أطباعنا وأخلاقنا.

طاعة مَن أمر الإمام عجل الله فرجه الشريف بطاعته

فالجنديّ في المعركة لا ينتظر القائد الأعلى ليأتيه ويخبره

(1) الشيخ الصدوق، كمال الدين وتمام النعمة، مصدر سابق، ص287.

بالأوامر والواجبات بشكل مباشر، بل يعمل حسب مراتب القيادة، ونحن باعتبارنا نعيش في أيّام الانتظار، فإنّ علينا أن نطيع من أمر الله -تعالى- والإمام بطاعتهم، والمتمثّلين في الفقهاء العدول الأكفّاء الذين هم حصون الإسلام ونوّاب الإمام عجل الله تعالى فرجه الشريف، القادرين على تحديد الوظيفة والدور المنوط بالأمّة، والمتمثّلة بالوليّ الفقيه الجامع للشرائط.

الموعظة السابعة

أصحاب البصيرة

وَكَذلِكَ شِيعَتُنا يُمَيَّزُونَ وَيُمَحَّصُونَ، حَتّى يَبْقى مِنْهُمْ عِصابَةٌ لا تَضُرُّها الْفِتْنَة

الهدف العامّ

بيان دور البصيرة في الوصول إلى مقام أصحاب الإمام عليه السلام.

المحاور الرئيسة

- معنى البصيرة
- أهمّيّة البصيرة
- موجِبات البصيرة
- موانع البصيرة
- أصحاب الحسين عليه السلام أهل البصائر
- أنصار المهديّ عجل الله فرجه لا تضرّهم الفتنة

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ لَا يَزِيدُه سُرْعَةُ السَّيْرِ إلّا بُعْدًا**»[1].

معنى البصيرة

لغةً: البصيرة بمعنى الإدراك، الشاهد، الدليل، الفطنة.

واصطلاحًا: انفتاح عينِ القلب، وسَعة الإدراك، واستشفاف النتيجة ورؤيتها منذ البداية، وملكة تقييم الأيّام الآتية مع اليوم المعاش، والقدرة على النفاذ إلى كُنْهِ الأمور وخفايا المعضلات.

أهمّيّة البصيرة

الذي يمتلك بصيرةً هو ذلك الإنسان العاقل القادر على التمييز بين ما هو مستقيمٌ وما هو منحرفٌ، وما هو عدلٌ وما هو ظلمٌ، وما هو حقٌّ وما هو باطلٌ، حسب تعبير الإمام عليّ عليه السلام: «**الْخَيْرُ مِنْه مَأْمُولٌ والشَّرُّ مِنْه مَأْمُونٌ، إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي**

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص43.

الذَّاكِرِينَ، وإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ»[1]؛ لأنّه مستقيمٌ في فكره وفي عمله.

وكما قال -تعالى-: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2].

ومعنى الآية «منكِّسًا رأسه إلى الأرض، فهو لا يبصر الطريق، ولا من يستقبله، ولا ينظر أمامه ولا يمينه ولا شماله، فيعثر كلّ ساعة، ويخرّ على وجهه؛ لوعورة طريقه، واختلاف أجزائه انخفاضًا وارتفاعًا. فحاله نقيضُ حالِ مَن يمشي سويًّا؛ ولذلك قابله بقوله -تعالى-: ﴿أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا﴾ مستويًا قائمًا، يبصر الطريق وجميع جهاته، فيضع قدمه سالِمًا من العثار والخرور ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، مستوي الأجزاء والجهة. وقيل: يُراد الأعمى الذي لا يهتدي إلى الطريق، فيعتسّف، فلا يزال ينكبّ على وجهه، وأنّه ليس كالرجل السويّ الصحيحِ البصر، الماشي في الطريق، المهتدي له»[3].

(1) الرضيّ، السيّد أبو الحسن محمّد بن الحسن الموسويّ، نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ عليه السلام)، تحقيق وتصحيح صبحي الصالح، لا.ن، لبنان - بيروت، 1387هـ - 1967م، ط1، ص305، الخطبة 193 ومن خطبة له عليه السلام يَصِفُ فيها المتّقين.

(2) سورة الملك، الآية 22.

(3) الكاشاني، الملّا فتح الله، زبدة التفاسير، تحقيق ونشر مؤسّسة المعارف الإسلامية، إيران - قمّ، 1423هـ، ط1، ج7، ص133.

موجبات البصيرة

1. الاهتداء بهدي الثقلَين

في وصيّة الإمام الكاظم عليه السلام: «**يا هِشَامُ، مَا بَعَثَ اللَّه أَنْبِيَاءَه ورُسُلَه إِلَى عِبَادِه إِلّا لِيَعْقِلُوا عَنِ اللَّه؛ فَأَحْسَنُهُمُ اسْتِجَابَةً أَحْسَنُهُمْ مَعْرِفَةً، وأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّه أَحْسَنُهُمْ عَقْلًا، وأَكْمَلُهُمْ عَقْلًا أَرْفَعُهُمْ دَرَجَةً فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ. يَا هِشَامُ، إِنَّ لِلَّه عَلَى النَّاسِ حُجَّتَيْنِ: حُجَّةً ظَاهِرَةً، وحُجَّةً بَاطِنَةً، فَأَمَّا الظَّاهِرَةُ فَالرُّسُلُ والأَنْبِيَاءُ والأَئِمَّةُ عليهم السلام**»[1].

2. التجربة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «**التَّجَارِبُ عِلْمٌ مُسْتَفَادٌ**»[2].

وقال عليه السلام: «**مَن لَم يُجَرِّبِ الأُمورَ خُدِعَ، ومن صارع الحقَّ صُرِعَ**»[3].

3. توطيد العلاقة بالله -تعالى-

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾[4]، والهداية إلى السبل بصيرة.

﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾[5]، والتقوى والورع بصيرة.

﴿إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾[6]، والهدى بصيرة.

---

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص16.

(2) الليثيّ الواسطيّ، الشيخ كافي الدين أبو الحسن عليّ بن محمّد، عيون الحكم والمواعظ، تحقيق الشيخ حسين الحسينيّ البيرجندي، دار الحديث، إيران - قمّ، 1418هـ، ط1، ص43.

(3) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج74، ص420.

(4) سورة العنكبوت، الآية 69.

(5) سورة البقرة، الآية 282.

(6) سورة الكهف، الآية 13.

4. معرفة الزمان

رُوِيَ عن الإمام الصادق عليه السلام: «**العالِمُ بِزَمانِهِ لا تَهجُمُ عَلَيهِ اللَّوابِسُ**»[1]. واللوابس الملتبسات من الأمور، التي تحصل نتيجة عدم وضوح الرؤية، وغياب القدرة على التشخيص.

5. التقوى

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**... إِنَّ تَقْوَى اللَّه دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ، وبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ، وشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ، وصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ، وطُهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ، وجِلَاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ، وأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ، وضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ...**»[2].

موانع البصيرة

وموانع البصيرة متعدّدةٌ، نذكر منها:

1. الفتنة واشتباه الحقّ بالباطل

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ، وأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ، يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللَّه، ويَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ اللَّه. فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ، لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ، ولَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ، انْقَطَعَتْ عَنْه أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ، ولَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ[3]، ومِنْ هَذَا**

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص27.

(2) نهج البلاغة، خطب الإمام عليّ عليه السلام، تحقيق صالح، مصدر سابق، ص313، الخطبة 198 ومن خطبة له ينبّه على إحاطة علم الله بالجزئيّات، ثمّ يحثّ على التقوى، ويبيّن فضل الإسلام والقرآن.

(3) مجمع البحرين: الضغث: قبضة الحشيش المختلط رطبها ويابسها، ويُقال: مِلء الكفّ من القضبان والحشيش.

ضِغْثٌ، فَيُمْزَجَانِ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، ويَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ الْحُسْنى»[1].

2. حبّ الدنيا

عن الإمام عليّ عليه السلام: «**لِحُبِّ الدُّنيا صَمَّتِ الأسمَاعُ عَن سَمَاعِ الحِكمَه، وَعَميَتِ القُلُوبُ عَن نُورِ البَصيرَةِ**»[2]. وفي المقابل، الزهد بالدنيا يؤدّي إلى البصيرة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**مَنْ زَهِدَ فِي الدُّنْيَا أَثْبَتَ اللَّهُ الْحِكْمَةَ فِي قَلْبِه، وأَنْطَقَ بِهَا لِسَانَه، وبَصَّرَهُ عُيُوبَ الدُّنْيَا، دَاءَهَا ودَوَاءَهَا، وأَخْرَجَه مِنَ الدُّنْيَا سَالِمًا إِلَى دَارِ السَّلَامِ**»[3].

3. الغفلة

قال -تعالى-: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[4].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**دَوَامُ الغَفلَةِ يُعمِي البَصيرَةَ**» [5].

أصحاب الحسين عليه السلام أهل البصائر

لو كان الإخلاصُ هو معيار المواقف المتفوِّقة، لكانت كربلاء في الصدارة. ولو كانت الآثار العمليّة هي المقياس، لكانت كربلاء

(1) نهج البلاغة، مصدر سابق، ص88، الخطبة 50 ومن كلام له عليه السلام، وفيه بيانٌ لِما يُخرِّب العالَم به من الفتن وبيان هذه الفتن.
(2) الليثي الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص404.
(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص128.
(4) سورة ق، الآية 22.
(5) الليثي الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص250.

في المقدِّمة. ولو كانت المواقف تُوزَن بخلودها وبقائها، لكانت كربلاء في الطليعة.

عن الإمام الصادق عليه السلام، في زيارة أصحاب الحسين عليه السلام: **«أَنْتُمْ سَادَةُ الشُّهَدَاءِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»**[1].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام، لَمّا مرّ بكربلاء وطاف بها: قال عليه السلام: **«قُتِلَ فيها مِئَتَا نَبِيٍّ وَمِئَتَا سِبْطٍ، كُلُّهُمْ شُهَدَاء، وَمُنَاخُ رِكَابٍ وَمَصَارِعُ عُشَّاقٍ شُهَدَاءَ، لَا يَسْبِقُهُمْ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، وَلَا يَلْحَقُهُمْ مَنْ بَعْدُهُمْ»**[2].

وكفاهم قولُ سيّد الشهداء عليه السلام في حقّهم: **«فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ أَصْحَابًا أَوْفَى وَلَا خَيْرًا مِنْ أَصْحَابِي»**[3].

ولم يكن يخفى فضلُ هؤلاء ومناقبهم، حتّى على أعدائهم؛ ففي يوم العاشر من المحرّم، جاء وصف أصحاب الحسين عليه السلام على لسان عمرو بن الحجّاج، عندما صاح بالناس: «يا حمقى! أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان أهل المصر وأهل البصائر وقومًا مستميتين...»[4].

لقد كانت عظَمةُ مواقف رساليّي كربلاء نابعةً من أنّها، مضافًا إلى العاطفة الجيّاشة الدافعة لاتّخاذها، مرتكِزةٌ على أصولٍ نظريّةٍ

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج4، ص574.
(2) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج41، ص295.
(3) الشيخ المفيد، الإرشاد، مصدر سابق، ج2، ص91.
(4) المصدر نفسه، ج2، ص103.

قطعيّةٍ، تعتبر أنّ الطاعة لوليّ الأمر وبذل الأرواح معه هما الطريق الوحيد لحفظ الإسلام والدين. لذلك، رفضوا أيَّ أمانٍ قد يحفظ حياتهم، وتعالَوا على أيِّ خوفٍ يمنعهم من مواصلة الطريق. نرى مَن وُصِف بأنّه نافذ البصيرة، أبا الفضل العباس عليه السلام، يردّ على الشمر، حين بلّغه الأمان له ولإخوته: «**لعنك الله، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمانَ له**[1]**، وتأمرنا أن ندخل في طاعة اللُّعناء وأولاد اللُّعناء؟!**»[2].

ويظهر لنا موقف زهير بن القين حيث هدّده الشمر ورماه بالسهم: «أفبالموت تهدّدني؟ فوالله، لَلموت معه أحبُّ إليّ من الخلد معكم»[3].

لقد أظهروا مواقف متفانيةً مع القضيّة وصاحب القضيّة، قَصُرَت كلماتُها عن حصْر ثمار مضمونها، خاصّةً موقفَين عزيزَين؛ أحدهما موقف سعيد بن عبد الله الحنفيّ، الذي صرّح: «ولو علمتُ أنّي أُقتَل فيك، ثمّ أحيا، ثمّ أُذرّى، يُفعَلُ ذلك بي سبعين

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، مصدر سابق، ج2، ص89.

(2) الأمين، السيّد محسن، لواعج الأشجان، منشورات مكتبة بصيرتي، إيران - قمّ، 1331هـ، لا.ط، ص116.

(3) الطبري، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، مراجعة وتصحيح وضبط نخبة من العلماء الأجلاء، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، لبنان - بيروت، 1403هـ - 1983م، ط4، ج4، ص324.

مرّةً، ما فارقتُكَ حتّى ألقى حِمامي دونَك»[1]، وكذا موقف زهير بن القين المتفاني: «واللهِ، لَوَدَدْتُ أنّي قُتِلتُ، ثمّ نُشِرتُ، ثمّ قُتِلتُ، حتّى أُقتَل كذلك ألفَ قتلةٍ، وإنّ اللهَ يدفع بذلك القتلِ عن نفسِك وعن أنفسِ هؤلاء الفتية مِن أهلِ بيتك»[2].

أنصار المهديّ عجّل الله فرجه الشريف لا تضرّهم الفتنة

عن الإمام الباقر عليه السلام: **«إِنَّمَا مَثَلُ شِيعَتِنَا مَثَلُ أَنْدَرٍ -يَعْنِي بَيْدَرًا فِيهِ طَعَامٌ- فَأَصَابَهُ آكِلٌ فَنُقِّيَ، ثُمَّ أَصَابَهُ آكِلٌ فَنُقِّيَ، حَتَّى بَقِيَ مِنْهُ مَا لَا يَضُرُّهُ الْآكِلُ. وَكَذَلِكَ شِيعَتُنَا يُمَيَّزُونَ وَيُمَحَّصُونَ، حَتَّى تَبْقَى مِنْهُمْ عِصَابَةٌ لَا تَضُرُّهَا الْفِتْنَةُ»**[3].

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، مصدر سابق، ج2، ص92.

(2) الأزديّ، أبو مخنف، مقتل الحسين عليه السلام، تعليق حسين الغفاري، لا.ن، لا.م، لا.ت، لا.ط، ص115.

(3) الشيخ النعمانيّ، الغيبة، مصدر سابق، ص218.

الموعظة الثامنة

الشباب

أصحاب المهديّ شباب لا كهول فيهم

الهدف العامّ

إظهار أهمّيّة الشباب ودورهم، وبيان المخاطر التي تتهدّدهم.

المحاور الرئيسة

- أهمّيّة الشباب
- الشباب مصدر التحوّل
- مخاطر وتحدّيات
- أسس بناء الشخصيّة الشبابيّة
- التفقّه في الدين
- أصحاب الإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف من الشباب

قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى﴾[1].

أهمّيّة الشباب

إذا تأمّلنا في مجمل تراث المدرسة النبويّة، سنجد أنّها خصّت شريحة الشباب بمزيد من العناية والمدح والإطراء؛ ذلك أنّ الشباب يملكون طاقة وحيويّة تضفي حركة وعنفوانًا في مختلف الأصعدة، فيما لو استغلّوا طاقاتهم تلك فيما فيه صلاح دينهم ودنياهم.

وعندما نستعرض الأدوار الثلاثة الأولى التي يبتدئ فيها الشاب انطلاقة حياته منذ سنّ الطفولة، والتي يتكوّن كلّ منها من سبع سنوات، نجد أنّ السبعة الثالثة، وهي ما يعبّر عنه بمرحلة الصداقة والوزارة، قد يُتلمّس منها مرحلة الصياغة التي يُراد منها التأكيد النهائيّ على فرد ناضج يمكن أن توكل إليه المهمّات.

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**لاعب ابنك سبعًا، وأدّبه سبعًا، وصاحبه سبعًا...**»[2].

(1) سورة الكهف، الآية 13.

(2) القبانچيّ، شرح رسالة الحقوق، السيّد حسن السيّد علي، مؤسّسة إسماعيليان للطباعة والنشر، 1406، ط2، ص586.

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**الغلام يلعب سبع سنين، ويتعلَّم الكتاب سبع سنين، ويتعلَّم الحلال والحرام سبع سنين**»[1]. وفي هذه الرواية نرى تفصيلًا إضافيًّا تُصاغ من خلاله الشخصيّة الإيمانيّة المتّزنة.

فالصحبة وتعلّم الحلال والحرام يضفيان على الشاب حصانة تؤهّله أن يخوض معترك الحياة بجدارة وبكلّ قوّة وفاعليّة.

الشباب مصدر التحوّل في الجهاد والعلم

وإذا ما قرأنا واقع مجتمعنا الإسلاميّ، نجد كيف كان للشباب دور رئيس في حالات التحوّل والتغيير فيها، خاّصة على الصعيد الجهاديّ، والدفاع عن الأمّة، فقد كانوا القاعدة الأولى لانطلاق الحركات الثوريّة والجهاديّة ضدّ أعداء الأمّة الخارجيّين، وضدّ أنظمة الحكم الظالمة والمستبدة.

وخير مثال نضربه في ذلك أولئك الشباب الذين ساندوا الإمام الخمينيّ قدس سره في ثورته المباركة، وكذلك شباب المقاومة الإسلاميّة في لبنان الذين بذلوا كلّ غالٍ ونفيس، في مواجهة الصهاينة المحتلّين والحركات التكفيريّة الإرهابيّة.

أمّا على صعيد العلم، فإنّنا نجد أيضًا نوابغ في العلم أعطَوا للأمّة دفعًا كبيرًا في نشر الوعي والثقافة في صفوف أبناء الأمّة، وخاصّة فئة الشباب من طلبة العلوم الدينيّة، والذين كان لهم دور كبير في استنهاض أقرانهم وأبناء بيئتهم في مواجهة الظلم والاستبداد.

---

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج6، ص47.

مخاطر وتحدّيات

1. تسطيح المعرفة

إنّ أشد ما تواجهه فئة الشباب في هذه الأيّام هو تسطيح المعرفة لديهم، وهو بأن تصبح نظرتهم إلى الأمور نظرة سطحيّة لا عمق فيها ولا بصيرة، وذلك من خلال إلهائهم بأمور لا جدوى منها ولا طائل.

2. المخدِّرات

من المخاطر التي تواجه جيل الشباب في هذه الأيّام _أيضًا_ هو تعاطي المخدِّرات، والتي أصبحت سهلة المنال بفعل الترويج لها، والعمل على إنتاجها وتوزيعها، وهذا الأمر يستلزم المواجهة بالوسائل والأساليب كافّة.

3. الميوعة

حيث أصبحت وسائل التفلّت الأخلاقيّ وأساليبه منتشرة بشكل هائل، والتي تقحم الشباب في أجواء من الضياع والميوعة، سواء أكان ذلك من خلال ما تبثّه العديد من القنوات التلفزيونيّة من برامج سيّئة من حيث المضمون والمشهد، أم من خلال مواقع التواصل الاجتماعيّ وشبكات الإنترنت.

4. الزيّ

وإنّ للزيّ -أيضًا- دورًا كبيرًا في تحديد نمط التفكير الذي عليه المجتمع، وكذلك نمط الثقافة التي ينتهجها، ومن أبرز ما يواجهه

جيل الشباب هو تلك الأزياء غير المحتشمة وغير المتّزنة، سواء أكان بما يتعلّق بزيّ الفتيات أم الفتية.

وهذا -طبعًا- له الكثير من الآثار السّيئة على أخلاق الشباب، فاللباس غير المحتشم مدعاة لانتشار المفاسد الأخلاقيّة.

أسس بناء الشخصيّة الشبابيّة

إنّ الأسس التي تبني شخصيّة الشباب يمكن أن نلحظها بالآتي:

1. الأنس بكتاب الله المجيد والاستفادة من مدرسته القيميّة

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من قرأ القرآن وهو شابّ مؤمن، اختلط القرآن بلحمه ودمه، وجعله الله -عزّ وجلّ- مع السفرة الكرام البررة، وكان القرآن حجيزًا عنه يوم القيامة، يقول: يا ربِّ، إنّ كلّ عامل قد أصاب أجر عمله غير عاملي، فبلّغ به أكرم عطاياك، قال: فيكسوه الله العزيز الجبّار حلّتين من حلل الجنّة، ويوضع على رأسه تاج الكرامة، ثمّ يُقال له: هل أرضيناك فيه؟ فيقول القرآن: يا ربِّ، قد كنت أرغب له في ما هو أفضل من هذا، فيُعطى الأمن بيمينه والخلد بيساره، ثمّ يدخل الجنّة، فيُقال له: اقرأ واصعد درجة، ثمّ يُقال له: هل بلغنا به وأرضيناك، فيقول: نعم. قال: ومن قرأه كثيرًا وتعاهده بمشقّة من شدّة حفظه، أعطاه الله -عزّ وجلّ- أجر هذا مرّتين**»[1].

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص603-604.

2. التزوّد من نمير المدرسة النبويّة الشريفة

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**بادروا أولادكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجِئة**»[1].

فقد كانت ثقافة الإرجاء هي الحالة الشائعة منذ الصدر الأوّل للإسلام، ولا زالت ثقافة رائجة منتشرة يفتخر بها الكثيرون، وهي ما يعبّر عنها اليوم باللون الرماديّ، وحالة عدم اتّخاذ الموقف، والابتعاد عن الحسم في مواطن الاستحقاق؛ لذا نرى الإمام الصادق عليه السلام يدفع بالمؤمن إلى الاهتمام بصياغة المنظومة الفكريّة والبصيرة الإيمانيّة، ليكون الجيل ممّن يدرك الحقيقة ولا يلوي عنها إلى شيء، ويكون مستعدًّا للدفاع عنها.

التفقّه في الدين

والمراد هو أن يكون الشابّ عالمًا -على الأقلّ- بضرورات دينه الفقهيّة والعقائديّة، ويعمل دائمًا على تحديث معلوماته وثقافته حتّى لا يكون موجودًا خارج زمانه، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**لو أتيت بشابّ من شباب الشيعة لا يتفقّه في الدين لأوجعته**»[2]، وفي حديث آخر «**لأدّبته**»[3].

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج6، ص47.
(2) المصدر نفسه، ج1، ص7.
(3) البرقيّ، المحاسن، مصدر سابق، ج1، ص228.

وأمثال هذين الحديثَين تشير إلى مسألة مهمّة، هي أنّ ترك التفقّه ليس اعتداءً على الذات، بل هو اعتداء على المجتمع بشكل غير مباشر، وبالتالي فهو يكاد يكون جريمةً يُقام الحدّ على مرتكبها.

علاقة الشباب بالمساجد والاعتكاف وليلة القدر

يمكن لنا في هذا المقام أن نذكر بعضًا من كلمات الإمام الخامنئيّ دام ظله في ما يتعلّق بعلاقة الشباب بالمساجد والاعتكاف وليلة القدر؛ ذلك أنّ هذه المفردات الثلاث لها تأثير معنويّ وروحيّ عظيم في نفوس الشباب.

1. المساجد

يؤكّد سماحة الإمام الخامنئي دام ظله أنّ المسجد مركز ثقافيّ وتربويّ، فيقول: «المسجد مقرّ مقاومة، وهو أيضًا مقرّ تنمية للنشاطات الثقافيّة والهداية الثقافيّة والبصيرة الثقافيّة»[1]؛ ولهذا فهو يدعو إلى استقطاب الشباب إليها قائلًا: «على المؤمنين جميعًا أن يقصدوا المساجد وينتفعوا منها، ولكن ينبغي استقطاب الشباب إلى المساجد، أن يعتبر الشاب المسجد بيته وموقعه ويأنس به ويتردّد إليه؛ ففي هذا بركات كثيرة»[2].

2. ليلة القدر

إنّ ليلة القدر من أعظم الليالي التي ينبغي قضاؤها في تحصيل

(1) من خطاب له دام ظله بتاريخ 21/ 8/ 2016م.
(2) من خطاب له دام ظله بتاريخ 21/ 8/ 2016م.

رضا الله- تعالى- والخشوع بين يديه، وإذا ما قام الشاب بإحيائها، فإنّ لها أثرًا عظيمًا سوف تزرعه في نفسه.

يقول دام ظله: «ليلة القدر هي فرصة للاستغفار والتماس الأعذار؛ التمسوا العذر والمغفرة من الله -تعالى-. الآن، وقد سمح الله -عزّ وجلّ- لي ولكم بأن نعود إليه، وأن نطلب المغفرة ونعتذر منه»[1].

3. الاعتكاف

ويرى سماحة الإمام الخامنئي دام ظله أن الاعتكاف ينبغي أن يكون فرديًّا لا جماعيًّا؛ وذلك بهدف ضمان توطيد الرابطة بين الشاب والباري -سبحانه-: «الاعتكاف الذي يمارسه الشباب هو في الحقيقة اختلاء بالله، إنّه عمل فرديّ أكثر من كونه عملًا جماعيًّا»[2].

الشباب في دولة الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف

إنّ الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف -كما جاء في الروايات- سيخرج هو بنفسه على هيئة شابّ، وكذلك سيكون أصحابه شبابًا لا كهول فيهم، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أصحاب المهديّ شباب لا كهول فيهم، إلّا كمثل كحل العين والملح في الزاد**»[3].

---

(1) من خطاب له دام ظله بتاريخ 1998/1/16م.

(2) من خطاب له دام ظله بتاريخ 2008/7/16م.

(3) الطوسيّ، الشيخ محمّد بن الحسن، الغيبة، تحقيق الشيخ عباد الله الطهرانيّ والشيخ علي أحمد ناصح، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، إيران - قم، 1411هـ ط1، ص467.

الموعظة التاسعة

الأسرة والتربية

يجب على الأمّة الإسلاميّة بناء الأسرة ضمن الأطر المتعلّقة بقضيّة التمهيد المبارك

الهدف العامّ

إدراك أهمّيّة بناء الأسرة وتربيتها في الإسلام.

المحاور الرئيسة

- الروابط الإيمانيّة
- حقوق الأسرة
- الزواج وبناء الأسرة
- طلب الولد وتربيته
- واجبات الأبوَين
- استهداف الأسرة
- الأسرة في كربلاء
- الأسرة المهدويّة

قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾[1].

الروابط الإيمانيّة

إنّ التكامل والانسجام بين أفراد المجتمع المسلم من المهمّات التي دعت إليها الشريعة المقدّسة. ومن جملة الترتيبات، ما دعت إليه من التآخي بين أبناء المجتمع في مناسبات عدّة، ورسّخت العلاقة بين الأفراد على أساس الأخوّة الإيمانيّة ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾[2]، ورتّبت الآثار الأدبيّة والأخلاقيّة على ذلك، وأشارت إلى أنّها من التكاليف التي يطالب بها المؤمن، بحيث لا يخرج من عهدتها إلّا بالأداء أو المسامحة.

فعن مولانا الإمام الصادق عليه السلام، في سؤال عن تلك الحقوق: **«سَبْعُونَ حَقًّا لَا أُخْبِرُكَ إِلّا بِسَبْعَة، فَإِنِّي عَلَيْكَ مُشْفِقٌ أَخْشَى أَنْ لَا تَحْتَمِلَ»**، فَقُلْتُ: بَلَى، إِنْ شَاءَ اللَّهُ، فَقَالَ: **«لَا تَشْبَعْ وَيَجُوعُ، وَلَا**

(1) سورة التحريم، الآية 6.

(2) سورة الحجرات، الآية 10.

تَكْتَسِ وَيَعْرَى، وَتَكُونُ دَلِيلَهُ وَقَمِيصَهُ الَّذِي يَلْبَسُهُ، وَلِسَانَهُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ بِهِ، وَتُحِبّ لَهُ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ... فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ، وصلت وِلَايَتُكَ بِوِلَايَتِنَا، وَوِلَايَتُنَا بِوِلَايَةِ اللَّهِ -تعالى-»[1].

فإذا كان المطلوب بين المؤمنين هذا القدرَ من التضامن والتكافل، فما بالُنا بالنسبة إلى العلاقة بين أفراد الأسرة الصغيرة، التي يربطها، مضافًا إلى رابط الدين، رابطة الرحم. وهذا ما يرتّب تكاليف إضافيّة إلى تلك التكاليف العامّة.

والآية الشريفة التي تصدّرت البحث، ترشد مدير الأسرة ليلتفت إلى الوظيفة الأسمى، التي قد تغيب أحيانًا عن اهتماماتنا، أو تتراجع إلى المراتب الدنيا، وهي الملاحظة الدقيقة، والعناية بالبُعد المعنويّ والمستقبل الأخرويّ لهذه الأسرة، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾[2].

حقوق الأسرة

لكلٍّ من أفراد الأسرة، في عنق البقيّة، حقوقٌ:

فمرّةً، يُوَجَّه الخطابُ للولد ليراعي مقام الوالدين: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ إِحۡسَٰنًا﴾[3].

وثانيةً، يُوَجَّه الخطاب لمدير الأسرة ليراعي حقوق مَن هم

---

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص174.

(2) سورة التحريم، الآية 6.

(3) سورة الأحقاف، الآية 15.

تحت كفالته ورعايته: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾[1].

وعندما نأتي إلى رسالة الحقوق، لمولانا زين العابدين عليه السلام، نجده ينسج الروابط بين أفراد الأسرة بروابط نورانيّة متينة.

1. حقّ الأمّ

«فَحَقُّ أُمِّكَ، فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا حَمَلَتْكَ حَيْثُ لَا يَحْمِلُ أَحَدٌ أَحَدًا، وَأَطْعَمَتْكَ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهَا مَا لَا يُطْعِمُ أَحَدٌ أَحَدًا...»[2].

2. حقّ الأب

وأمّا الأب: **«فَتَعْلَمُ أَنَّهُ أَصْلُكَ، وَأَنَّكَ فَرْعُهُ، وَأَنَّكَ لَوْلَاهُ لَمْ تَكُنْ، فَمَهْمَا رَأَيْتَ فِي نَفْسِكَ مِمَّا يُعْجِبُكَ، فَاعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ أَصْلُ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ...»** [3].

3. حقّ الولد

«وَأَمَّا حَقُّ وَلَدِكَ، فَتَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْكَ، وَمُضَافٌ إِلَيْكَ، فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ، وَأَنَّكَ مَسْؤُولٌ عَمَّا وُلِّيتَهُ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ، وَالدَّلَالَةِ عَلَى رَبِّهِ، وَالْمَعُونَةِ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ فِيكَ وَفِي نَفْسِهِ، فَمُثَابٌ عَلَى ذَلِكَ وَمُعَاقَبٌ، فَاعْمَلْ فِي أَمْرِهِ عَمَلَ الْمُتَزَيِّنِ بِحُسْنِ أَثَرِهِ عَلَيْهِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا، الْمُعَذِّرِ إِلَى رَبِّهِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ بِحُسْنِ الْقِيَامِ عَلَيْهِ، وَالْأَخْذِ لَهُ مِنْهُ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ»[4].

(1) سورة التحريم، الآية 6.

(2) الحرّانيّ، الشيخ ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، مصدر سابق، ص263.

(3) المصدر نفسه.

(4) المصدر نفسه.

وعن رسول الله ﷺ: «**مِنْ حَقِّ الوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ أَنْ يُعَلِّمَهُ الكِتَابَةَ، وَأَنْ يُحْسِنَ اسْمَهُ، وَأَنْ يُزَوِّجَهُ إِذَا بَلَغَ**»[1].

4. حقّ الأخ

«**وَأَمَّا حَقُّ أَخِيكَ، فَتَعْلَمُ أَنَّهُ يَدُكَ الَّتِي تَبْسُطُهَا، وَظَهْرُكَ الَّذِي تَلْتَجِئُ إِلَيْهِ، وَعِزُّكَ الَّذِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ، وَقُوَّتُكَ الَّتِي تَصُولُ بِهَا، فَلَا تَتَّخِذْهُ سِلَاحًا عَلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَلَا عُدَّةً لِلظُّلْمِ بِحَقِّ اللَّهِ، وَلَا تَدَعْ نُصْرَتَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَمَعُونَتَهُ عَلَى عَدُوِّهِ، وَالْحَوْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيَاطِينِهِ، وَتَأْدِيَةَ النَّصِيحَةِ إِلَيْهِ، وَالْإِقْبَالَ عَلَيْهِ فِي اللَّهِ، فَإِنِ انْقَادَ لِرَبِّهِ وَأَحْسَنَ الْإِجَابَةَ لَهُ، وَإِلَّا فَلْيَكُنِ اللَّهُ آثَرَ عِنْدَكَ وَأَكْرَمَ عَلَيْكَ مِنْهُ...**»[2].

فكلّ حقٍّ من الحقوق يرتِّبُ على صاحبه واجبًا، أو مجموعةً من الواجبات، ليحصل التكامل إلى المستوى الذي ينتج لُبنةً متينةً مُحكَمةً في البنيان المرصوص، الذي لا خلل فيه ينفذ من خلاله الشياطين.

الزواج وبناء الأسرة

لما تقدّم كلّه، اهتمّ الدين الحنيف بتشكيل الأسرة، ودعا إلى ذلك، وعدّه من ميادين الطاعة والاستنان بسنّة النبيّ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ عَلَى فِطْرَتِي، فَلْيَسْتَنَّ بِسُنَّتِي، وَإِنَّ مِنْ سُنَّتِي النِّكَاحَ**»[3].

---

(1) الأحمديّ الميانجي، مكاتيب الرسول، دار الحديث، لا.م، 1998م، ط1، ج1، ص384.

(2) الحرّانيّ، الشيخ ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، مصدر سابق، ص263-264.

(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص496.

فالزواج، مضافًا إلى كونه تلبيةً لاحتياجاتٍ طبيعيّةٍ استودعها الباري في عباده، كما الحاجة إلى الطعام والشراب، فهو سُنَّةٌ نتأسّى فيها برسول الله ﷺ؛ من أجل إيجاد الحصانة الاجتماعيّة.

فالمهمّ هو امتداد الخلافة على الأرض، وهي تكليفٌ عقلانيٌّ، قبل أن تكون رغبةً أو شهوةً أو هوًى. لذا، رُوِيَ عن الإمام عليّ الرضا عليه السلام قال: «**قال رسول الله ﷺ لرجل: تَزَوَّجْهَا سَوْءَاءَ وَلُودًا، وَلَا تَزَوَّجْهَا جَمِيلَةً حَسْنَاءَ عَاقِرًا، فَإِنِّي مُبَاهٍ بِكُمُ الْأُمَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْوِلْدَانَ تَحْتَ الْعَرْشِ يَسْتَغْفِرُونَ لِآبَائِهِمْ، يَحْضُنُهُمْ إِبْرَاهِيمُ، وَتُرَبِّيهِمْ سَارَةُ فِي جَبَلٍ مِنْ مِسْكٍ وَعَنْبَرٍ وَزَعْفَرَانٍ؟**»[1].

طلب الولد وتربيته

فكما أنّ الشريعة ندبت إلى الزواج، فقد دعت إلى طلب الولد وتربيته، والبحث عن الأرومة الطيّبة، وهو من اللوازم العقلانيّة لحُسن الانتخاب. وقد حدّدت المواصفات في كلٍّ من الرجل والمرأة المؤهَّلَين لتكوين أسرة:

فمن جهة المرأة وأهلها، ورد عن رسول الله ﷺ: «**مَنْ شَرِبَ الْخَمْرَ بَعْدَ مَا حَرَّمَهَا اللَّهُ عَلَى لِسَانِي، فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُزَوَّجَ إِذَا خَطَبَ**»[2].

(1) الحرّ العامليّ، الشيخ محمّد بن الحسن، تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام، إيران - قمّ، 1414هـ، ط2، ج20، ص54.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص348.

وعن حفيده الإمام الصادق عليه السلام: «**مَنْ زَوَّجَ كَرِيمَتَهُ مِنْ شَارِبِ الْخَمْرِ فَقَدْ قَطَعَ رَحِمَهَا**»[1].

ومن جهة الرجل، ينقل جابر بن عبد الله الأنصاريّ قوله: كنّا عند النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «**إِنَّ خَيْرَ نِسَائِكُمُ الْوَلُودُ، الْوَدُودُ، الْعَفِيفَةُ، الْعَزِيزَةُ فِي أَهْلِهَا، الذَّلِيلَةُ مَعَ بَعْلِهَا، الْمُتَبَرِّجَةُ مَعَ زَوْجِهَا، الْحَصَانُ عَلَى غَيْرِهِ، الَّتِي تَسْمَعُ قَوْلَهُ، وَتُطِيعُ أَمْرَهُ، وَإِذَا خَلَا بِهَا بَذَلَتْ لَهُ مَا يُرِيدُ مِنْهَا، وَلَمْ تَبَذَّلْ كَتَبَذُّلِ الرَّجُلِ**»[2].

واجبات الأبوَين

فإذا تكوّنت الأسرة، ترتّبت على كلٍّ من الأبوين مجموعةٌ من الواجبات، ليكون النتاج من قائلي: لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله.

وقد تكرّر من الروايات، ما ينبغي في متابعة شؤون الولد، من لحظة الولادة، بل أثناء الحمل، وما يلي ذلك من الأذان في يمنى المولود، والإقامة في يسراه، إلى العقيقة...

ورد عن أحد الصادقَين (الباقر أو الصادق) عليهما السلام: «**إِذَا بَلَغَ الْغُلَامُ ثَلَاثَ سنينَ، يُقَالُ لَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، ثُمَّ يُتْرَكُ حَتَّى يَتِمَّ لَهُ ثَلَاثُ سِنِينَ وَسَبْعَةُ أَشْهُرٍ وَعِشْرُونَ يَوْمًا، فَيُقَالُ لَهُ: قُلْ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَيُتْرَكُ حَتَّى يَتِمَّ لَهُ أَرْبَعُ سِنِينَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: قُلْ: صَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ،**

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص347.

(2) المصدر نفسه، ج5، ص324.

ثُمَّ يُتْرَكُ حَتَّى يَتِمَّ لَهُ خَمْسُ سنينَ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَيُّهُمَا يَمينُكَ؟ وَأَيُّهُمَا شمَالُكَ؟ فَإِذَا عَرَفَ ذَلكَ، حُوِّلَ وَجْهُهُ إِلَى الْقبْلَة، وَيُقَالُ لَهُ: اسْجُدْ، ثُمَّ يُتْرَكُ حَتَّى يَتِمَّ لَهُ ستُّ سنينَ، فَإِذَا تَمَّ لَهُ ستُّ سنينَ، صَلَّى وَعُلِّمَ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ، حَتَّى يَتِمَّ لَهُ سَبْعُ سنينَ، فَإِذَا تَمَّ سَبْعُ سنينَ، قيلَ لَهُ: اغْسلْ وَجْهَكَ وَكَفَّيْكَ، فَإِذَا غَسَلَهُمَا، قيلَ لَهُ: صَلِّ، ثُمَّ يُتْرَكُ حَتَّى يَتِمَّ لَهُ تسْعُ سنينَ، فَإِذَا تَمَّتْ لَهُ، عُلِّمَ الْوُضُوءَ، وَضُرِبَ عَلَيْه، وَأُمِرَ بِالصَّلَاة، وَضُرِبَ عَلَيْهَا، فَإِذَا تَعَلَّمَ الْوُضُوءَ وَالصَّلَاةَ، غَفَرَ اللَّهُ لِوَالِدَيْه...»[1].

مضافًا إلى متابعته في الفصول الثلاثة من سبعات عمره، ليكون صاحبًا للخير، وحاملًا له.

استهداف الأسرة

هذا التأكيد والتركيز كلّه هو الذي يجعل الأسرة اليوم هدفًا من أهداف الحرب الناعمة؛ لأنّها إنْ تكوّنَتْ طبق الموازين، فستؤدّي إلى مجتمعٍ رصينٍ، تحفّه القيم، لا يخضع للضغوط، ولا يأبه بالتهديدات.

لذا، يخبر بعض المطّلعين عن مساعي بعضِ المؤسّسات العالَميّة، التي تسعى لإدخال المفاهيم التي لا همَّ لها إلّا تفكيك التماسك القائم في مداميك البنيان الأسريّ، من الدعوة إلى تأخير الزواج تارةً، وإلى التفلّت من الالتزامات التي تُعتَبر من أنواع الجهاد

(1) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص475.

في سبيل الله، فيما يتعلّق بالأسرة، من ترك الإنجاب، واستحضار الأنانيّة، والعيش كالحيوان المتحرِّر من الضوابط، ومن تظهير مفاتن التعلّق بالدنيا الزائفة، والتنكّر للصبر الجميل والأجر الجزيل.

ولنا خير نموذج وأعظم قدوة، ألا وهو كيفيّة زواج سيّدة نساء العالَمين عليها السلام، وبأيّ بساطةٍ وهدوءٍ، وهي ابنة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، وحليلة المرتضى عليه السلام، ثمّ احتضنت أنـوارًا قدسيّةً لا تزال البشريّة تستفيد من تعاليمهم إلى يومنا هذا. فقد دأبت عليها السلام على تربيتهم على مفهوم الجار قبل الدار، وعلى الإيثار بإطعام المسكين واليتيم والأسير، وعلى الدفاع عن الولاية حتّى الشهادة.

الأسرة في كربلاء

وهكذا نرى من تبقّى من تلك الأسرة، مضمَّخًا بالدماء على رمضاء العشق الكربلائيّ، وعندما يريد أمير المؤمنين عليه السلام عضيضًا وناصرًا للحسين عليه السلام، فيختار أمّ البنين، التي ربّت أربعة أسودٍ، هم أبو الفضل العباس وإخوته.

وعلى دربهم، تأبى أمّ وهبٍ من ولدها أن يكتفي بتقديم بعض جوارحه، إلّا أن يجود بأعزّ ما يملك بين يدي وليّ الله عليه السلام.

وعلى النهج نفسه، يقول الفتى عمرو بن جنادة للإمام الحسين عليه السلام: إنّ أمّي هي التي ألبستني لامة حربي وقلّدتني سيف أبي.

هذه هي نماذج الأُسَر التي يُعَوَّل عليها للتمهيد لمولانا بقيّة الله عجل الله فرجه الشريف، وهي عين أُسَرِنا التي قدّمت الشهداء على طريق حفظ الكرامة وطاعة الولاية. لذا، علينا أن نكون واعين يقظين محافظين على هذه القيم وتطويرها وترسيخها ونقلها إلى الأُسَر الجديدة التي نطالب بإنشائها، من دون تعقيداتٍ فُرِضَت علينا في سياق العداوة للقيم؛ لكي لا نستيقظ يومًا، وقد أضعنا كلَّ شيء.

الأسرة المهدويّة

جاء في كتابه العزيز: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾[1]، في إشارةٍ منه -تعالى- إلى دور الأسرة في صقل الفرد وتنشئته في الطريق الأقوم.

وعليه، ينبغي لكلّ مجتمعٍ أنْ يعتني بالأسرة وينمّي دورها، حتّى ينشأ الجيل وَفق المبادئ المطلوبة فيها.

والأُمّة الإسلاميّة، التي تنتظر قدوم الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، يجب عليها على الأمّة الإسلاميّة بناء الأسرة ضمن الأطر المتعلّقة بقضيّة التمهيد المبارك، ومنها:

- تربية الأبناء على حبّ الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، وزرع الثقافة المهدويّة فيهم.

- مراقبة الإعلام وضبطه، حتّى لا تتأثّر عقيدة أولادنا فيما يُبَثّ من فسادٍ ممزوجٍ بالعسل.

(1) سورة آل عمران، الآية 34.

وقد أكّدت الروايات على دور المرأة في دولة الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، حيث تذكر الرواية أنّ المجتمع سيُؤتَى الحكمة، ثمّ تؤكّد على دور المرأة في ذلك المجتمع، وأنّها ستحكم في بيتها بالقرآن والسنّة، فذكر هذا الدور للمرأة عقيب ذكر إتيان الحكمة للمجتمع يشير إلى دورها الفعّال، ووصول المجتمع إلى مرحلة الحكمة.

فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**وَتُؤْتَونَ الحِكْمَةَ فِي زَمَانه، حَتَّى أَنَّ المَرْأَةَ لَتَقْضِي فِي بَيْتِهَا بِكِتَابِ اللهِ -تعالى- وَسُنَّةِ رَسُولِ اللهِ** صلى الله عليه وآله وسلم»[1].

(1) البحرانيّ، السيّد هاشم بن سليمان، حلية الأبرار في أحوال محمّد وآله الأطهار عليهم السلام، مؤسسة المعارف الإسلاميّة، قمّ، 1411هـ ط1، ج6، ص353.

الموعظة العاشرة

أصحاب الفوز العظيم

وَأَنَّكُمُ الفائِزُونَ فِي دَرَجاتِ العُلى

الهدف العامّ

بيان معنى الفوز العظيم الذي ورد في الروايات والزيارات، والتعرّف من خلاله إلى أنصار الإمام الحسين عليه السلام في كلّ عصر.

المحاور الرئيسة

- ما هو الفوز العظيم؟
- من أسباب الفوز العظيم
- أصحاب الإمام هم الفائزون
- وتستمرّ كربلاء

جاء في زيارة الإمام الحسين عليه السلام يوم عرفة: «**بأبي أنتم وأمّي، طبتم وطابت الأرض التي فيها دفنتم، وفزتم فوزًا عظيمًا، فيا ليتني كنت معكم فأفوز معكم**»[1].

إنّ من أهمّ ما يطمح إليه الإنسان هو الفوز عند الله -تعالى-؛ ذلك باعتبار أنّ الدنيا دار امتحان وبلاء واختبار، ومن الطبيعيّ أن توجد شريحتان على ضوء هذا الاختبار: فائز وخاسر. والفوز أو الخسران إنّما يتعقّب عمل الإنسان في الدنيا، ويتعيّن من خلاله مصيره الأخرويّ، ومنزلته عند الله -تعالى-.

ما هو الفوز العظيم؟

الفوز هو الظفر بالمراد، ويُسمّى عظيمًا لكونه آخر ما يسعد به الإنسان[2].

وفي القرآن الكريم عُبِّر عن دخول الجنّة بالفوز، قال -تعالى-: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ

(1) ابن المشهديّ، الشيخ أبو عبد الله محمّد بن جعفر الحائريّ، المزار الكبير، تحقيق جواد القيوميّ الأصفهانّي، إيران - قم، نشر القيوم، 1419هـ، ط1، ص465.

(2) العلّامة الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج18، ص151.

ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ﴾[1]، وعن أصحابها بالفائزين، قال -سبحانه-: ﴿أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾[2].

ولا شك في أنّ ذلك من أعظم السعادة: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾[3].

وباعتبار أنّ هذه السعادة أبديّة وخالدة، وهي آخر ما يسعد بها الإنسان، فهي الفوز العظيم: ﴿يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[4].

من أسباب الفوز العظيم

أشارت الآيات الكريمة إلى العديد من الأسباب التي توجب الفوز عند الله -تعالى-، نشير إلى بعضٍ منها:

1. طاعة الله ورسوله

قال -تعالى-: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[5]، وقال -سبحانه-: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾[6].

(1) سورة آل عمران، الآية 185.
(2) سورة الحشر، الآية 20.
(3) سورة هود، الآية 108.
(4) سورة الحديد، الآية 12.
(5) سورة النساء، الآية 13.
(6) سورة الأحزاب، الآية 71.

2. الصدق في القول والعمل

قال -تعالى-: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[1].

3. الجهاد بالنفس والمال

قال -تعالى-: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٨٨ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[2]، وقال -سبحانه-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾[3].

أصحاب الإمام عليه السلام هم الفائزون

ورد في زيارة الشهداء مخاطبتهم بالقول: «**وفزتم فوزًا عظيمًا**»[4]، وفي زيارة أخرى: «**وَأَنَّكُمُ الفائِزُونَ فِي دَرَجاتِ العُلى**»[5].

---

(1) سورة المائدة، الآية 119.

(2) سورة التوبة، الآيتان 88 - 89.

(3) سورة التوبة، الآية 111.

(4) ابن المشهدي، المزار، مصدر سابق، ص465.

(5) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج98، ص338. مفاتيح الجنان، زيارة أوّل رجب.

وإذا بحثنا في أسباب الفوز عند هؤلاء الأصحاب نجد مجموعة من العناوين، نشير منها إلى الآتي:

1. ذبّوا عن أعظم عقيدة في الإسلام، وهي التوحيد: «**السَّلامُ عَلَيْكُم أَيُّها الذَّابُّونَ عَنْ تَوْحِيدِ اللهِ**»[1].
2. بذلوا أرواحهم دفاعًا عن حجّة الله في أرضه، وهو الإمام الحسين عليه السلام، ففي زيارة عاشوراء: «**وثبّت لي قدم صدق عندك مع الحسين وأصحاب الحسين، الذين بذلوا مهجهم دون الحسين عليه السلام**»[2].
3. كانوا طائعين لله -تعالى- ورسوله، ففي بعض زياراتهم: «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ اللهِ، وَأَنْصارَ رَسُولِه، وَأَنْصارَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طالِبٍ، وَأَنْصارَ فاطِمَةَ، وَأَنْصارَ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ، وَأَنْصارَ الإِسْلامِ**»[3].
4. من الصابرين، ففي بعض الزيارات: «**السلام عليكم أيّها الشهداء الصابرون، أشهد أنّكم جاهدتم في سبيل الله، وصبرتم على الأذى في جنب الله**»[4].

ولا شكّ في أنّ ذلك من موجبات الفوز، قال -تعالى-: ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾[5]، وقال -سبحانه-:

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج98، ص354. مفاتيح الجنان، زيارة عيدي الفطر والأضحى.

(2) ابن المشهدي، المزار، مصدر سابق، ص484. مفاتيح الجنان، زيارة عاشوراء.

(3) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج98، ص338. مفاتيح الجنان، زيارة أوّل رجب.

(4) ابن المشهديّ، المزار، مصدر سابق، ص416.

(5) سورة المؤمنون، الآية 111.

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾[1]، وفي زيارة شهداء كربلاء: «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبى الدَّارِ، بِأَبِي أَنْتُمْ وَأُمِّي فُزْتُمْ فَوْزًا عَظِيمًا**»[2].

5. من الصادقين، ففي بعض الزيارات: «**السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَيُّها الصِّدِّيقُونَ**»[3].

ويروى أنّ كلّ من أراد الخروج كان يودّع الإمام الحسين عليه السلام، ويقول: «السلام عليك يابن رسول الله»، فيجيبه الإمام عليه السلام: «**وعليك السلام، ونحن خلفك**»[4]، ويقرأ: ﴿فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ﴾، في إشارة إلى صدقهم، كما في تمام الآية: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا﴾[5].

ومن الشهداء الذين قرأ الإمام عليه السلام هذه الآية عليهم، مسلم بن عوسجة، الرجل المخلص الذي ورد مدحه في زيارة الناحية المقدّسة بالقول:

«السلام على مسلم بن عوسجة، القائل للحسين وقد أذن له في الانصراف: أنحن نخلّي عنك؟! وبمَ نعتذر إلى الله من أداء حقّك؟!

---

(1) سورة الرعد، الآية 24.

(2) ابن المشهديّ، المزار، مصدر سابق، ص425. مفاتيح الجنان، زيارة عيدي الفطر والأضحى.

(3) ابن المشهديّ، المزار، مصدر سابق، ص416. مفاتيح الجنان، زيارة ليالي القدر.

(4) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج45، ص15.

(5) سورة الأحزاب، الآية 23.

لا والله حتّى أكسر في صدورهم رمحي، وأضربهم بسيفي، ما ثبت قائمه في يدي، ولا أفارقك، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، ثمَّ لم أفارقك حتّى أموت معك، وكنت أوّل من شرى نفسه، وأوّل شهيد من شهداء الله قضى نحبه، ففزت وربّ الكعبة. شكر الله لك استقدامك ومواساتك أمامك، إذ مشى إليك وأنت صريع، فقال: يرحمك الله يا مسلم بن عوسجة، وقرأ: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[1].

6. جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ففي بعض الزيارات: **«أشهد أنّكم جاهدتم في سبيل الله، وصبرتم على الأذى في جنب الله»**[2].

7. هم الشهداء والسعداء وهم أحياء عند ربّهم: ففي بعض الزيارات: «**أَشْهَدُ أَنَّكُمْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّكُمْ تُرْزَقُونَ**»[3]، في إشارة إلى قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[4]، وفي زيارة أخرى: «**أَشْهَدُ أَنَّكُمْ الشُّهَداء وَالسُّعَداءُ**»[5].

---

(1) ابن المشهديّ، المزار، مصدر سابق، ص491 - 492.

(2) المصدر نفسه، ص416.

(3) المصدر نفسه، ص416. مفاتيح الجنان، زيارة أوّل رجب.

(4) سورة آل عمران، الآيات 169 - 170.

(5) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج98، ص338. مفاتيح الجنان، زيارة أوّل رجب.

بل إنّهم سادة الشهداء، كما في زيارة أخرى: «**أشهد أنكم أنصار الله -جلّ اسمه-، وسادة الشهداء في الدنيا والآخرة**»[1].

وتستمرّ كربلاء...

في كربلاء الإمام الحسين عليه السلام، سطّر أصحابه أروع مشاهد الإيثار والتفاني، وفي كربلاء الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف يسطّر عشّاق الحسين عليه السلام مجدّدًا مشاهدَ مستمدّة من عاشوراء، كيف لا، وكربلاء العصر صدًى لكربلاء الإمام الحسين عليه السلام في:

1. تلبية النداء

يقول الشهيد ربيع قصير في وصيّته: «في كربلاء كانت صرخة الإمام الحسين المدوّية، والتي ما زالت تخترق السنين والآذان تكسر حواجز الصمت وتؤذن بفجر جديد، يومها نادى الإمام عليه السلام: «ألا من ناصر ينصرني؟!، فكان الجواب هنا في إيران الإسلام وفي جبل عامل الأشمّ: كلّنا معك يا سيّدي، لم يختلف الزمن، ولم تختلف المرحلة».

2. مواجهة الظلم

يقول الشهيد نزار علي صالح: «يعزّ علينا أن نرى الاستضعاف فنسكت وأن نرى الظلم فلا نجابهه وأن نرى الاستكبار فلا نقاتله، ولكن الحمد لله إذ بُعث إلينا الإمام الخمينيّ قدس سره؛ لذلك أوصيكم باتّباعه وعدم خذلانه، كما خُذل الإمام الحسين عليه السلام».

---

(1) ابن المشهدي، المزار، مصدر سابق، ص120.

3. نيل إحدى الحسنين

يقول الشهيد حسن محمّد شبيب: «أوصيكم بالمضيّ قدمًا بهذا النهج المبارك الذي خطّه لنا سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام، لنيل إحدى الحسنين؛ إمّا النصر وإمّا الشهادة».

4. حماية زينب عليها السلام

فشهداؤنا لم يرضوا بسبي الحوراء زينب عليها السلام مرّتين، كالشهيد يوسف حلاوي الذي اختار البقاء قرب ضريح العقيلة والدفاع عنه، على العودة إلى لبنان، على الرغم من الشوق، هذا الشهيد الذي عاش انقلابًا في كلّ شيء، تصرفاته، ضحكاته، حديثه، أبى العودة إلى المنزل، وجدّد فترة عمله ثلاث مرّات.

5. حفظ الإسلام

يقول الشهيد وائل محمود عناني: «ولا ترضوا بالذلّ والهوان، وابذلوا الدماء للحفاظ على خطّ الإمام الحسين عليه السلام، خطّ الثورة والرفض للظلم وانتصار الدم على السيف».

الموعظة الحادية عشرة

ارتباط الشهداء بالإمام عليه السلام

سنفرش لك الأرض
بأجسامنا الممزّقة

الهدف العامّ

إظهار علاقة شهداء كربلاء بالإمام الحسين عليه السلام، وعلاقة شهداء مسيرتنا الأبرار بالإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف.

المحاور الرئيسة

- **علاقة الأنصار بالإمام الحسين عليه السلام**
- **شهداؤنا والإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف**

عن الإمام الحسين عليه السلام: «**...أمّا بعد، فإنّي لا أعلم أصحابًا أوفى ولا خيرًا من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خيرًا، ألا وإنّي لأظنّ أنّه آخر يوم لنا من هؤلاء، ألا وإنّي قد أذنت لكم، فانطلقوا جميعًا في حلٍّ ليس عليكم منّي ذمام، هذا الليل قد غَشِيَكم فاتّخذوه جملًا**»[1].

علاقة الأنصار بالإمام الحسين عليه السلام

لا شكّ في أنّ لشهداء كربلاء علاقةً مميّزةً بالإمام الحسين عليه السلام جعلتهم «الأوفى والأبرّ» على لسانه الشريف، حيث تجلّت تلك العلاقة في كلماتهم ومواقفهم وحفظهم وصيّةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سبطه الحسين عليه السلام، ووقوفِهم إلى جانب الحقّ يوم عزَّ الناصرُ أمام ثلاثين ألفًا من جيش عمر بن سعد، وبذْلِهم أنفسهم واستبسالهم في الدفاع عن إمام الحقّ واستشهادهم بين يدَيه عليه السلام. تلك العلاقة -التي شملت الرجال والنساء، الفتية والشباب والكبار- ليست وليدة ساعتها، بل كان لها أسس ومرتكزات عميقة ومتجذّرة، أبرزها:

(1) الشيخ المفيد، الإرشاد، مصدر سابق، ج2، ص91.

1. الإمام الحسين عليه السلام ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لمّا دعا الإمامُ الحسين عليه السلام زهيرَ بن القين لصحبته، أجابه أنّه ليس راغبًا في مرافقته، فقالت له زوجته دلهم: «**سبحان الله، يبعث إليك ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ لا تأتيه!**»[1]، ولمّا سمع زهير كلام زوجته، انقلب وتغيّر، وأتى نحو الإمام الحسين عليه السلام.

2. من ذرّيّة النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم

لمّا برز زوجها عبد الله إلى الميدان، أصيب في يده اليسرى، فأخذت أمّ وهب عمود خيمة، ثمّ أقبلت نحوه، وهي تقول له: «**فداك أبي وأمّي، قاتل دون الطيّبين ذريّة محمّد صلى الله عليه وآله وسلم**»[2].

3. ابن السيّدة الزهراء عليها السلام

بعد استشاهد ابنِها عمرو بن جنادة، قطع العدوّ رأسه، ثمّ رموا به نحو خيمة الإمام عليه السلام، فأخذت أمُّه عمود الخيمة، وحملت على القوم، وهي تقول:

أَنَــا عَــجُــوزٌ فِــي الــنِّــسـاءِ ضَـعِـيـفَـهْ
بَــالِــيَــةٌ خَــالِــيَــةٌ نَـحِـيـفَـهْ

(1) ابن نما الحلّيّ، مثير الأحزان، مصدر سابق، ص33.

(2) الطبريّ، محمّد بن جرير، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، مراجعة وتصحيح وضبط نخبة من العلماء الأجلّاء، مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، لبنان - بيروت، 1403هـ - 1983م، ط4، ج4، ص327.

أَضْـرِبُـكُـمْ بِـضَـرْبَـةٍ عَـنِـيـفَـهْ
دُونَ بَـنِـي فَـاطِـمَـةَ الـشَّـرِيـفَـهْ[1]

وقد جمع هذه العناوين الثلاثة عبد الله بن يقطر الحميريّ، عندما أعلن من قصر ابن زياد للناس المجتمعين أسفل القصر: «أيّها الناس، أنا رسول الحسين بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ إليكم، لتنصروه وتؤازروه على ابن مرجانة وابن سميّة الدعيّ ابن الدعيّ»[2].

ولأنّ الإمام الحسين عليه السلام امتدادٌ لرسول الله ﷺ، برزت مظاهر الفداء بأبهى صورها، فهذا عمرو بن قرظة الأنصاريّ بعد أن قاتل مدّة من الزمن، رجع نحو الحسين عليه السلام ووقف دونه ليقيه من العدوّ، فجعل يتلقّى السهام بجبهته وصدره فلم يصل إلى الحسين عليه السلام سوء حتّى أثخن بالجراح، فالتفت إلى الإمام عليه السلام، وقال له: «أوفيت يابن رسول الله؟»، قال: «**نعم، أنت أمامي في الجنّة، فأقرئ رسول الله ﷺ السلام، وأعْلَمْه أنّي في الأثر**»[3].

(1) العسكريّ، السيّد مرتضى، معالم المدرستين، مؤسّسة النعمان للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان - بيروت، 1410 - 1990م، لا.ط، ج3، ص121.

(2) السماويّ، الشيخ محمّد، أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، تحقيق الشيخ محمّد جعفر الطبسيّ، مركز الدراسات الإسلاميّة لممثليّة الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلاميّة، إيران، 1419هـ - 1377ش، ط1، ص93.

(3) ابن نما الحلّيّ، مثير الأحزان، مصدر سابق، ص45، العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج45، ص22.

4. إنّه عليه السلام خير الخلق

كان قيس بن مسهّر الصيداويّ حاملًا رسالة من الإمام الحسين عليه السلام إلى مسلم بن عقيل وإلى شيعة الكوفة، وقبل وصوله إلى الكوفة كان قد لوحق وقبض عليه الحصين بن تميم، وبعد اعتقاله قام قيس بتمزيق الكتاب، ثمّ وجّه به الحصين إلى عبيد الله بن زياد، وبعد مشاجرة بينه وبين ابن زياد، قال له: اصعد المنبر والعن عليًّا والحسن والحسين عليهم السلام، فقَبِل قيس أن يتكلّم إلى الناس، ولمّا اجتمعوا في المسجد صعد قيس المنبر وتوجّه نحو أهل الكوفة قائلًا لهم: «أيّها الناس، إنّ الحسين بن عليّ خير خلق الله، وابن فاطمة بنت رسول الله، وأنا رسوله إليكم... فأجيبوه»[1].

5. إنّه عليه السلام الأحقّ بالولاية

عندما جعجع الحرّ بالإمام الحسين عليه السلام، وضيّق عليه، خطب الإمام عليه السلام في أصحابه، وتحدّث معهم عن غدر الزمان والدهر الخوؤن، ثمّ تكلّم نافع بن هلال مبيّنًا أنّ الإمام الحسين عليه السلام هو الأحقّ بالولاية والشهادة بين يديه: «فَسِرْ بنا راشدًا معافًا، مشرّقًا إن شئت، وإن شئت مغرّبًا، فوالله ما أشفقنا من قدر الله، ولا كرهنا لقاء ربّنا، وإنّا على نيّاتنا وبصائرنا، نوالي من والاك ونعادي من عاداك»[2].

(1) الشيخ محمّد السماويّ، أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، مصدر سابق، ص113.
(2) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج44، ص382.

6. إنّه عليه السلام أولى من أنفسهم

لمّا وقع القتال في اليوم العاشر، أُخبر بشر الحضرميّ -وهو على تلك الحالة- بأسر ابنه بثغر الريّ، فقال ردًّا على ذلك: «عند الله أحتسبه ونفسي، ما كنت أحبّ أن يؤسر، وأن أبقى بعده»، فسمع الإمام الحسين عليه السلام مقالته، فقال له: «**رحمك الله! أنت في حلٍّ من بيعتي، فاذهب واعمل في فكاك ابنك**».

فأجابه بشر: «أكلتني السباع حيًّا إنْ أنا فارقتك يا أبا عبد الله»[1].

وفي مشهد آخر، لمّا مُنع الإمام الحسين عليه السلام من الماء، واشتدّ العطش بأصحابه، كان نافع بن هلال من جملة من ذهب لإحضار الماء بقيادة أبي الفضل العبّاس، وعندما وصل إلى شريعة الفرات امتنع نافع عن شرب الماء، وقال لأحد قادة العدوّ: «لا والله، لا أشرب منه قطرة والحسين عطشان»[2].

7. إنّه عليه السلام وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله

في ليلة العاشر من المحرّم، لمّا جمع الحسين عليه السلام أصحابه وأحلّهم من بيعته وطلب منهم الرجوع إلى أهليهم تكلّم جمع من بني هاشم والأصحاب، ومن ثمّ تكلّم سعيد بن عبد الله الحنفيّ،

(1) الشيخ محمّد السماويّ، أبصار العين في أنصار الحسين عليه السلام، مصدر سابق، ص174.

(2) أبو الفرج الأصفهانيّ، مقاتل الطالبيّين، تقديم وإشراف كاظم المظفّر، منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها، العراق - النجف الأشرف، 1385 - 1965م، ط2، ص78.

فقال للإمام عليه السلام: «لا والله -يابن رسول الله- لا نخلّيك أبدًا، حتّى يعلم الله أنّا قد حفظنا فيك وصيّة رسوله محمّد صلى الله عليه وآله وسلم، ولو علمت أنّي أقتل فيك ثمّ أحيا ثمّ أذرى، يُفعل ذلك بي سبعين مرّة ما فارقتك حتّى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك؟ وإنّما هي قتلة واحدة، ثمّ أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبدًا»[1].

وفي ظهر يوم عاشوراء تقدّم الإمام الحسين عليه السلام لإقامة الصلاة فصلّى بأصحابه صلاة الخوف، فوصل إلى الإمام الحسين عليه السلام سهم فتقدّم سعيد بن عبد الله الحنفيّ، ووقف يقيه بنفسه وجعلها درعًا للإمام عليه السلام فرماه القوم بسهامهم من كلّ جانب يمنةً ويسرةً، وكان يستقبل السهام في وجهه وصدره ويديه ومقادم بدنه لئلّا تصيب الحسين عليه السلام حتّى سقط إلى الأرض.

وعلى حدٍّ قول ابن طاووس، فإنّ ثلاثة عشر سهمًا أصابت جسد سعيد سوى ضربات السيوف والرماح. وعندما خرّ سعيد بن عبد الله صريعًا، التفت إلى الحسين عليه السلام فقال: أوفيت يابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجابه عليه السلام: «**نعم، أنت أمامي في الجنّة**»[2].

8. إنّه عليه السلام الأعزّ والأحبّ

في يوم عاشوراء، وبعد استشهاد غلامه شوذب، تقدّم عابس بن أبي شبيب الشاكريّ نحو الإمام عليه السلام، وقال له: «**يا أبا عبد**

(1) ابن طاووس، اللهوف في قتلى الطفوف، مصدر سابق، ص56.

(2) المصدر نفسه، ص64.

الله، أما والله ما أمسى على ظهر الأرض قريبٌ ولا بعيدٌ أعزّ عليّ ولا أحبّ إليّ منك، ولو قدرت على أن أدفع عنك الضيم والقتل بشيء أعزّ عليّ من نفسي ودمي لفعلته»[1].

شهداؤنا والإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف

لشهداء مسيرتنا الأبرار علاقة خاصّة بالإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، كيف لا؟ وقد بذلوا مُهجَهم في طريق انتظاره والتمهيد له، وفاضت وصاياهم بكلمات نورانيّة يفوح منها عبق الولاء له عجل الله فرجه الشريف، والشوق إلى رؤيته، والسلام عليه، والاستشهاد بين يديه.

1. سيّدي، فداك روحي ودمي

فهذا الشهيد حسن بافلاني لا يرى طعمًا للحياة بغياب معشوقه عجل الله فرجه الشريف، قائلًا: «سيّدي، لقد سئمت الحياة بعيدًا عنك، أتراك تتعرّف عليّ يا سيدي، أم أنّ ذنوبي ستحجبني عنك؟!

ويعبّر عن شوقه العميق له: «سيّدي، فداك روحي ودمي! ماذا أقول عن شوقي إليك؟ أم ماذا أقول عمّا يحلّ بنا وأنت البعيد القريب؟ سيّدي لقد طال الانتظار»، بل ويطلب منه عجل الله فرجه الشريف أن يخرجه من قبره ليكون من أنصاره: «وأظنّ أنّ القتل سيحول بيني وبينك، فأرجوك يا سيّدي، أرجوك أخرجني من قبري لأقاتل وأستشهد بين يديك».

2. قم واخرج، ابحث عن الإمام

والشهيد حسن كمال حايك، يهيم في البحث عن الإمام عجل الله فرجه الشريف:

(1) الطبريّ، تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، مصدر سابق، ج4، ص338.

«إيه يا قلبي القاسي! أما آن لك أن تتفطّر؟ قم واخرج، ابحث عن الإمام في هذا الكون الفسيح، اذهب يمينًا وشمالًا، غرّد مع الطيور، سافر مع النسمات، هبّ مع الرياح، تعلّق بأوراق الأشجار، حلِّق مع النجوم، سافر إلى جهة كربلاء أو إلى النجف وسامرّاء، أو إلى الكاظميّة وبغداد، أو إلى مشهد أو إلى مسجد السهلة أو إلى المسجد الأقصى أو إلى جبل صافي وجاهد فيه مع المجاهدين، لا بُدَّ في لحظة ما في سفرك الطويل سيرأف بحالك الإمام ويمرُّ طيفهُ يسلِّم عليك فترتاح وتنجلي عنك الهموم، وعندها قف وابكِ وادعُ ورتّل مناجاة الحزين، واقضِ العمر في ذلك المكان حيث رأيت الإمام وعش على أطلاله، واقضِ الحياة مشتاقًا إليه».

3. سنفرش لك الأرض بأجسامنا الممزَّقة

والشهيد أسامة حكيم مستعدّ لأن يمهّد لظهوره الشريف بجسده الممزّق، فيقول: «سيّدي، يا صاحب الزمان، الشوق إلى رؤياك عميق، وها نحن نمهّد لك الأرض، ومستعدّون لأن نقدّمها لك ولنهج آبائك البررة في طريق إعلاء كلمة الله العليا، وجعل كلمة الباطل السفلى، ومستعدّون أن نفرشها بأجسامنا الممزَّقة، وأرواحنا التي تبكيك بدل الدموع دمًا لنصرتك».

4. لتتصل ثورتنا بثورة الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف

والشهيد سليمان محمّد عواضة يمنّي نفسه بأن تتّصل مقاومتنا بثورة الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف: «اللهمّ، احفظ ثورتنا لتتصل بثورة الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف!».

الموعظة الثانية عشرة

الإمام الحسين عليه السلام والمسؤوليّة الدينيّة

أين محيي معالم الدين وأهله؟

الهدف العامّ

التعرّف إلى مسؤوليّة الإمام الحسين عليه السلام الدينيّة وواجبنا تجاه هذا الدين.

المحاور الرئيسة

- ثورة الإمام الحسين عليه السلام لحفظ الدين
- حفظ الدين واجبنا أيضًا
- المقاومة لحفظ الدين
- الإمام المهديّ عجل الله فرجه يحيي الدين

عن الإمام الحسين عليه السلام: **«وإنّي لم أخرج أشرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أمّة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر»**[1].

ثورة الإمام الحسين عليه السلام لحفظ الدين

لقد نهض الإمام الحسين عليه السلام خوفًا من اندراس الدين، وإحياءً لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيث يعبِّر عليه السلام عن الواقع الأليم الذي وصلت إليه الأمّة في كتابه إلى رؤوس الخمس والأشراف في البصرة جاء فيه: **«... نحن نعلم أنّا أحقّ بذلك الحقّ المستحق علينا ممّن تولّاه... وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ السُنّة قد أميتت، وإنّ البدعة قد أُحييَت»**[2].

وفي خطبته عليه السلام لأصحابه حين لقائه الحرّ الرياحيّ، قال: **«... ألا ترون أنّ الحقّ لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب**

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج44، ص329.

(2) أبو مخنف الكوفيّ، لوط بن يحيى، وقعة الطفّ، تحقيق وتصحيح محمّد هادي اليوسفيّ الغرويّ، إيران - قم، جماعة المدرسين، 1417هـ، ط3، ص107.

المؤمن في لقاء الله محقًّا، فإنّي لا أرى الموت إلّا شهادة ولا الحياة مع الظالمين إلّا برمًا»[1].

ولقد بُيِّن ذلك في زياراته عليه السلام، حيث يشهد له الزائر بذلك: **«أشهد أنّك قد أقمت الصلاة، وآتيت الزكاة، وأمرت بالمعروف، ونهيت عن المنكر»**[2].

حفظ الدين واجبنا أيضًا

بما أنّ الإمام عليه السلام يمثّل حجة الله على خلقه، فقد كان يدعو الناس من موقع مسؤوليّته إلى نصرة الإسلام ودين الله -تعالى-؛ ولهذا وصفت الزيارات أنصاره بأنهم أنصار الدين وأنصار الخطّ الإلهيّ كله: **«السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَوْلياء الله وَأَحبّاءهُ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَصْفياءَ الله وَأَوِدَّاءهُ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ دِينِ الله، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ رَسُولِ الله، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ أَمِيرِ المُؤْمنينَ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ فاطِمَةَ سَيِّدَة نساء العالَمينَ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ أَبِي مُحَمَّد الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الوَلِيِّ [الزكي] النَّاصِحِ، السَّلامُ عَلَيْكُمْ يا أَنْصارَ أَبِي عَبْد الله»**[3].

فإن من أراد أن يكون من أنصار الإمام عليه السلام فعليه أن يضع نصب عينيه هدف حفظ الدين في حركته، سواء أكان على صعيد

(1) الحرّانيّ، الشيخ ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، مصدر سابق، ص245.

(2) الشيخ الطوسيّ، مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، مصدر سابق، ص720.

(3) القميّ، الشيخ عبّاس، مفاتيح الجنان، تعريب السيّد محمّد رضا النوريّ النجفيّ، مكتبة العزيزي، إيران - قم، 1385ش - 2006م، ط3، ص 632.

الحياة عامّة، أم على صعيد حركته الجهاديّة خاصّة.

وإنّنا إذا تأمّلنا آيات القرآن الكريم وأحاديث النبيّ وآله عليهم السلام لوجدنا مفردات كثيرة تدعو إلى حفظ الدين، من التشويه أو الانحراف أو الاختراق الثقافي، وكذلك حفظ أتباعه وأهله من اليد المعادية.

وربّما تكون الآية الكريمة: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾[1]، من أبرز الآيات التي تدعو المؤمنين به أن يعمدوا إلى إرساء أوامر الله والعمل على تطبيقها، وأن يجهدوا في مواجهة مخالفة أوامره -سبحانه- وارتكاب معاصيه، وذلك من خلال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المقاومة لحفظ الدين

إذا كان الإمام الحسين عليه السلام كان قد ثار في وجه يزيد بن معاوية وأعوانه وهو يعلن مبدأ ثورته المباركة تلك وهو طلب الإصلاح في أمة جده، فإن هذا بنفسه يشير لنا بأن تكون حركات المقاومة على أساس ديني وعقائدي، ومهما كان عنوان المقاومة تلك، سواء أكان تحت عنوان الدفاع عن الأرض أم العرض أم بيوت الله ومقدسات المسلمين وغير ذلك مما له صلة بدين الله وأهله، فإن كل ذلك داخل تحت عنوان حفظ الدين.

(1) سورة آل عمران، الآية 110.

ومن هنا، فإنّ المقاومة التي يجاهد أبناؤها ضد المعتدين على أرض المسلمين ومقدساتهم في أي بقعة من بقاع الأرض فإنها في حقيقة الأمر تقع في طريق حفظ الدين، ذلك أنها تعمل على حفظ استقرار الأمة وأمنها ما يتيح لها حفظ ثقافتها وتراثها وحضارتها وأبنائها الغيارى على بث ثقافة الإسلام.

وإننا نجد في تاريخ المجتمعات البشرية، كيف أنّ الأمم التي استقال أبناؤها عن الدفاع عنها كيف تحولت وتغيرت معالم حضارتها وثقافتها، ومن هذا المنطلق، لا تنفك المقاومة التي تقوم على مبدأ عن مبدأ حفظ الدين.

دعم المقاومة حفظ للدين

قال الله -تعالى- في محكم كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[1].

وقد ورد في تفسير المرابطة الواردة في هذه الآية المباركة، هو أن يقدّم المرء خيله كي يستخدمه المجاهدون في سبيل الله، وهو بذلك مظهر من مظاهر دعم المقاومة والمجاهدين، وبالتالي، فإنّ من يدعم المقاومة فهو شريك في حفظ الدين حينئذ.

(1) سورة آل عمران، الآية 200.

وقد وعد الله - تعالى- الداعمين للمجاهدين بالمال بالدرجات العظمى وبالفوز، بل إنّه -سبحانه وتعالى- عدّهم من المجاهدين، كما في قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾[1].

الإمام المهديّ عجل الله فرجه يحيي الدين

إن من الأهـداف الأساسية التي سيخرج من أجلها الإمام المهديّ عجل الله فرجه هو إحياء الدِّين، وإنّنا نقرأ ذلك من خلال العديد من الأحاديث، بل والأدعية، كما في دعاء الندبة: «**أين محيي معالم الدِّين وأهله**»[2]، فالإمام عجل الله فرجه سيُحيي هذا الدِّين بعد أن يموت في قلوب العباد، ولكن ما المقصود بالدين الذي يحييه؟

إنّه الدين الذي يُترجَم من خلال الفعل لا القول، يُترجَم من خلال إقامة الصلاة وأداء الواجبات المالية وغير المالية، كما في قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ﴾[3].

وكذلك الدين الذي يُترجَم بالرحمة بين العباد، كما في قوله -سبحانه-:﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾[4].

---

(1) سورة التوبة، الآية 20.

(2) الشيخ القميّ، مفاتيح الجنان، مصدر سابق، ص 770.

(3) سورة الحجّ، الآية 41.

(4) سورة آل عمران، الآية 159.

وكذلك الدين الذي يتمثّل بالأخلاق الحسنة والطيّبة، كما في قوله -تعالى-: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1].

وأيضًا، الدين الذي يقف إلى جانب المستضعفين والمظلومين في الأرض، الذين وعدهم الله بوراثة هذه الأرض، يقول -تعالى-: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[2].

وهذا المعنى هو ما أشارت إليه الآية الكريمة:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾[3]، حيث ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسيرها: «**أَظْهَرَ ذلك بعدُ؟ كلّا، والّذي نفسي بيده، حتّى لا تبقى قرية إلّا ونودي فيها بشهادة أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّدًا رسول الله بُكْرةً وعشيًّا**»[4].

فالهدف الإلهيّ من إقامة مشروع الدولة العادلة على يد الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف هو كما روي عن الصادق عليه السلام: «**... ويَبْلُغَنَّ دينُ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم ما بلغ الليلُ حتّى لا يكون شركٌ على وجه الأرض...**».[5]

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**إذا قام القائم عجل الله فرجه الشريف دعا الناس إلى الإسلام جديدًا، وهداهم إلى أمرٍ قد دُثِر فضَلَّ عنه**

(1) سورة القلم، الآية 4.
(2) سورة القصص، الآية 5.
(3) سورة التوبة، الآية 33.
(4) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج51، ص61.
(5) المصدر نفسه، ج51، ص55.

الجمهور، وإنّما سُمّي القائم مهديًّا لأنّه يهدي إلى أمرِ مضلول عنه، وسُمّي بالقائم لقيامه بالحقّ»[1].

هل سيأتي بدين جديد؟!

تُشير الروايات -بشكل واضح وجليّ- إلى أنّ الإمام المهديّ عجل الله فرجه وأرواحنا له الفداء لن يأتي بدين جديد غير الإسلام والشريعة الّتي بشّر بها النبيّ محمّد صلى الله عليه وآله وسلم. ولقد حاول أعداء الإسلام والتشيّع الافتراء عليهم بأنّهم يدّعون أنّ الإمام المهديّ عجل الله فرجه وأرواحنا له الفداء سوف يأتي بدين هو غير الإسلام.

وجواب هؤلاء، أنّ ما هو مذكور في روايات أهل البيت عليهم السلام، هو أنّ الإمام يأتي بالإسلام الّذي دُثر وتُرك، ويكون على يديه إحياؤه وإحياء قِيَمِه بعد محاولة بعض الناس تشويه صورته وإبعاده عن حياة الناس.

(1) الإربليّ، الشيخ عليّ بن أبي الفتح، كشف الغمّة في معرفة الأئمّة، دار الأضواء، لبنان - بيروت، 1405هـ - 1985م، ط2،ج3، ص 263.

الموعظة الثالثة عشرة

نمط الحياة الإسلاميّ

ويُطاف بالمال في أهل الحواء، فلا يوجد أحد يقبله

الهدف العامّ

إدارك أهمّيّة بناء الاقتصاد وخطر التحوّل إلى مجتمع استهلاكيّ.

المحاور الرئيسة

- المجتمع الاستهلاكيّ
- الحرب الناعمة ودورها في زياد الاستهلاك
- كيف دعا الإسلام إلى ضبط الاستهلاك؟
- دولة العيش الرغيد

تصدير الموعظة

قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[1].

إنّ الالتزام بالنمط الحياتيّ الذي دعا إليه الإسلام إنّما يضمّن الحياة الهانئة والمستقرّة على الصعيدَين المعنويّ والماديّ على حدّ سواء.

ويدخل ضمن الحديث عن نمط الحياة الإسلاميّ ما له علاقة بنوع الطعام واللباس وغير ذلك من الأمور، حيث وردت آداب عدّة في التراث الإسلاميّ، ترتبط باللباس والطعام.

وسوف نتناول موضوعات هذه الموعظة ضمن نُقاط ثلاث:

أوّلًا: المجتمع الاستهلاكيّ

يتنامى مفعول مصطلح «المجتمع الاستهلاكيّ» في مجتمعنا أكثر فأكثر، وهذا يعني أنّ المسألة لها جذور وأسباب، ما يدفع الباحثين إلى وضع وسائل وأساليب للعلاج، وكذلك الوقاية من تمادي آثار ذلك على المجتمع.

(1) سورة الأعراف، الآية 31.

ما المقصود بالمجتمع الاستهلاكيّ؟

يمكن لنا القول وباختصار: إنّ الاستهلاك المقصود به هنا، هو ليس نفس الرغبة في شراء الشيء أو استهلاكه؛ ذلك أنّ الرغبة في الحصول على منتجٍ ما أمرٌ طبيعيّ، إنّما المقصود به هو نوع الاستهلاك الذي تغيّر من الزمن السابق إلى الزمن الحاليّ، حيث يتوافر تنوّع كبير للموادّ الاستهلاكيّة، والتي أصبحت سهلة المنال لدى المستهلك، ما دعا إلى زيادة الاستهلاك بشكل أكبر عمّا كان في الأزمنة السابقة.

ويدخل في أسباب زيادة الاستهلاك ظاهرة التشويق الإعلانيّ الذي يعتمده منتجو الموادّ الاستهلاكيّة المتنوّعة وأصحاب المؤسّسات، والتي تدفع المستهلك إلى الشراء في كثير من الأحيان دون تدبّر أو دراسة، ما يوقعه في مغبّة ضياع ماله دون وجه ضرورة.

وكذلك ترجع زيادة الاستهلاك إلى زيادة الدخل الفرديّ في المجتمعات، خاصّة الصناعيّة منها، وكان لهذا تأثير سلبيّ كبير على المجتمعات البشريّة الفقيرة أو النامية، حيث ازداد فيها العرض مع قلّة المال، ما جعل الطبقة الفقيرة استهلاكيّة بشكل سلبيّ للغاية.

وإنّ الإسلام -كما نقرأ في إرشاداته- قد وضع حدودًا لكيفيّة العلاقة والارتباط بالموادّ الاستهلاكيّة، سواء لجهة المأكل أو المشرب أو الملبس أو المسكن.

ثانيًا: الحرب الناعمة ودورها في زيادة الاستهلاك

قد يتساءل بعض الأشخاص قائلًا: ما علاقة الحرب الناعمة بزيادة الاستهلاك؟ أو ما علاقة الحرب الناعمة بعدم الاستقرار الاقتصاديّ؟

في الواقع، إنّ ساحة الحرب الناعمة هو في مثل هذه المواقع؛ أي في الحياة الشخصيّة للأفراد، حيث إنّها تعمل على خرق نمط حياتهم لتبديله وتحويره عمّا هو عليه إلى ما يضعه أصحاب هذه الحرب من سياسات في سبيل نيل أهدافهم، سواء أكان بشكل عاجل أم آجل.

وإنّ نمط الحياة المعيشيّة، لَهو أكثر الأمور استهدافًا من قبل أعداء المجتمع، وهذا ما شهدناه عبر التاريخ البشريّ، حيث قام المستعمرون بتغيير ثقافة بلاد بأكملها بغية احتلالها والتسلّط عليها، كما هي الحال في دول عديدة من الدول الإفريقيّة.

وهكذا هي الحال في هذه الأيّـام بالنسبة إلى المجتمع الإسلاميّ، وبالأخصّ المجتمع المقاوم، حيث تعمل دول الاستكبار جاهدة لخرق نمط الحياة الشخصيّة لأفراد بيئة المقاومة، ما يسمح لهم بإضعاف همّة هؤلاء الأفراد نحو الثورة والمقاومة واللهو بالأمور المادّيّة والاستهلاكيّة.

ثالثًا: كيف دعا الإسلام إلى ضبط الاستهلاك؟

وضع الإسلام ضوابط عديدة لضبط استهلاك الموادّ الطبيعيّة والمنتجة، تتمحور تحت مفردتي «حسن التدبير»، و«عدم التبذير والإسراف».

1. حسن التدبير

أمّا التدبير، فهو حسن الإدارة والتخطيط، والنظر في عواقب الأمور قبل الإقـدام عليها، وإنّ هذا يرتبط بالأمور المعيشيّة والمنزليّة، بل يعدّ أساس العيش المتّزن والمستقرّ؛ وممّا روي في ذلك أنّ رجلًا قال للإمام جعفر الصادق عليه السلام: بلغني أنّ الاقتصاد والتدبير في المعيشة نصف الكسب! فقال عليه السلام: «**لا، بَل هُو الكسبُ كلُّهُ، ومِن الدِّينِ التَّدبيرُ في المعيشةِ**»[1].

وإنّ قوام التدبير هو العلم والمعرفة؛ أي أنْ يتدبّر المرء مآل الأمور، وهذا ما نستنبطه من كلام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال لابن مسعود: «**يابن مسعود، إذا عملتَ عمَلًا فاعملْ بعلمٍ وعقلٍ، وإيّاكَ وأنْ تعملَ عملًا بغيرِ تدبّرٍ وعلمٍ؛ فإنّه -جلَّ جلالهُ- يقولُ:** ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾[2]»[3].

الحثّ على الاقتصاد

ونجد في مقلب آخر كيف دعا الإسلام إلى الاقتصاد في العيش، وهو شُعبة من شعب حسن التدبير، وممّا ورد في ذلك:

قوله -تعالى-: ﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾[4]؛ «**أي امشِ مقتصدًا ليس**

(1) الشيخ الطوسيّ، الأمالي، مصدر سابق، ص670.
(2) سورة النحل، الآية 92.
(3) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج74، ص110.
(4) سورة لقمان، الآية 19.

بالبطيء المتثبّط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلًا وسطًا، بين وبين»[1].

أمّا في الروايات، فمنها ما عن رسول الله ﷺ: **«إنّ المؤمن أخذ من الله أدبًا، إذا وسّع عليه اقتصد، وإذا أقتر عليه اقتصر»**[2].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام من كتاب له إلى زياد: **«دعِ الإسراف مقتصدًا، واذكر في اليوم غدًا، وأمسك من المال بقدر ضرورتك، وقدِّم الفضل ليوم حاجتك»**[3].

2. حرمة الإسراف والتبذير

الإسراف -لغةً- «مجاوزة القصد[...] يقال: أسرف في ماله: عجّل من غير قصد، وأصل هذه المادّة يدُلُّ على تعدِّي الحدِّ، والإغفال أيضًا للشيء»[4].

أمّا اصطلاحًا، فهو «تجاوز الحدّ في كلِّ فعل يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر»[5].

قال الله -تعالى-: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ

---

(1) ابن كثير، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، تقديم يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان - بيروت، 1412هـ - 1992م، لا.ط، ج3، ص455.

(2) الطبرسي، الميرزا حسين النوري، مستدرك الوسائل، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، لبنان - بيروت، 1408هـ - 1987م، ط1، ج13، ص52.

(3) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج33، ص491.

(4) ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الإعلام الإسلاميّ، إيران - قم، 1404هـ، ط 1، ج3، ص153.

(5) الراغب الأصفهانيّ، أبو القاسم الحسين بن محمّد، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق صفوان عدنان داوودي، طليعة النور، لا.م، 1427هـ، ط2، ص407.

﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾[1]، وهذه الآية واضحة في النهي عن الإسراف في الطعام والشراب.

وورد النهي عن الإسراف بالماء عند الوضوء، كما عن رسول الله ﷺ: «**الوضوء مدّ، والغسل صاع، وسيأتي أقوام من بعدي يستقلّون ذلك، فأولئك على خلاف سنّتي! والثابت على سنّتي معي في حظيرة القدس**»[2].

ونلاحظ أنّ للإسراف أثارًا سلبيّة على المستوى الاقتصاديّ للفرد، وهذا أمر بديهيّ؛ ذلك أنّ ثمّة قسمًا من مدخول الفرد يذهب هدرًا دون مقابل، عن الإمام عليّ عليه السلام: «**الإسراف يفني الجزيل**»[3].

أمّا التبذير فهو: التفريق، وأصله: إلقاء البذر وطرحه، فاستعير لكلّ مضيّع لماله، فتبذير البذر تضييع في الظاهر لمن لم يعرف مآل ما يلقيه[4].

قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ﴾[5].

(1) سورة الأعراف، الآية 31.

(2) الصدوق، الشيخ محمّد بن علي بن بابويه، من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، إيران - قم، 1414هـ ط2، ج1، ص34.

(3) الليثيّ الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص39.

(4) الأصفهانيّ، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، مصدر سابق، ص40.

(5) سورة الإسراء، الآية 27.

يقول العلّامة الطباطبائيّ في تفسير هذه الآية المباركة: «وكان وجه المؤاخاة بينهم أنّ الواحد منهم يصير ملازمًا لشيطانه وبالعكس، كالأخوين الذين هما شقيقان متلازمان في أصلهما الواحد، كما يشير إليه قوله -تعالى-: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾[1]»[2].

دولة العيش الرغيد

إنّ الأوامر والنواهي الإلهيّة واضحة في ضرورة الحفاظ على النعم الإلهيّة، وعلى الحياة الاقتصاديّة الهانئة والمستقرّة للإنسان؛ ذلك أنّه ينبغي استغلال تلك النعم بما يضمن صلاح عيش الإنسان ورغده.

حتى إنّنا نجد ثقافة العيش الرغيد ضاربة في عمق الثقافة والمعتقدات الإسلاميّة، ونلاحظ ذلك من خلال توصيف دولة الإمام المهديّ المنتظر عجل الله فرجه الشريف، حيث نجد روايات عديدة تصف لنا رغد العيش في تلك الدولة الإلهيّة في ظلّ وجود الإمام الذي سيملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا.

ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يخرج المهديّ حكمًا عدلًا، [...] ويُطاف بالمال في أهل الحواء، فلا يوجد أحد يقبله**»[3].

---

(1) سورة فصلت، الآية 25.

(2) العلّامة الطباطبائيّ، الميزان في تفسير القرآن، مصدر سابق، ج13، ص82.

(3) المقدسيّ، يوسف بن يحيى، عقد الدرر في أخبار المنتظر، تحقيق الدكتور عبد الفتّاح محمّد الحلو، مكتبة عالم الفكر، مصر - القاهرة، 1399هـ - 1979م، ط1، ص166.

الموعظة الرابعة عشرة

المدد الغيبيّ

القائم منّا منصور بالرعب،
مؤيّد بالنصر

الهدف العامّ

التعرّف إلى مفهوم الإيمان بالغيب، وآثاره في حياة الإنسان، ودوره في إقامة دولة العدل.

المحاور الرئيسة

- معنى الإيمان بالغيب
- الإيمان بالغيب والنصر
- أعمال الإنسان في ميزان الإيمان بالغيب
- المدد الغيبيّ للإمام المهديّ عجّل الله فرجه الشريف
- القائم منّا منصور بالرعب

قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[1].

معنى الإيمان بالغيب

الغيب -لغةً- كلّ ما غاب عن الإنسان وما لا يدركه حسّه، يُقال: غاب الشيء إذا استتر واحتجب.

أمّا اصطلاحًا، فهو ما استأثر الله بعلمه، ولم يُطلع عليه أحدًا من خلقه، إلّا من ارتضى.

والمقصود بالإيمان بالغيب: التصديق الجازم بالمغيّبات كلّها التي أخبرنا الله ورسوله عنها دون تردّد أو شكّ، قال -تعالى-: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾[2]. والغيب في المصطلحات القرآنيّة والحديثيّة يطلق على الأمور التي لا تُعرف بأسباب متعارفة عادةً.

الإيمان بالغيب والنصر

لمّا خرج طالوت بجنوده لقتال العمالقة، قال لهم: إنّ الله

(1) سورة البقرة، الآية 249.

(2) سورة آل عمران، الآية 179.

ممتحنكم على الصبر بنهر أمامكم تعبرونه؛ ليتميَّز المؤمن من المنافق، فمن شرب منكم من ماء النهر فليس منّي، ولا يصلح للجهاد معي، ومن لم يذق الماء فإنّه مني؛ لأنّه مطيع لأمري وصالح للجهاد، إلّا مَن ترخَّص واغترف غُرْفة واحدة بيده، فلا لوم عليه. فلمّا وصلوا إلى النهر انكبّوا على الماء، وأفرطوا في الشرب منه، إلّا عددًا قليلًا منهم صبروا على العطش والحرّ، واكتفوا بغُرْفة اليد، وحينئذٍ تخلّف العصاة. ولمّا عبر طالوت النهر هو والقلّة المؤمنة معه -وهم ثلاثمئة وبضعة عشر رجلًا- لملاقاة العدوّ، ورأَوا كثرة عدوّهم وعدَّتهم، قالوا: لا قدرة لنا اليوم بجالوت وجنوده الأشدّاء، فذكَّرَ الذين يوقنون بلقاء الله، ويؤمنون بالغيب الذي يبعث فيهم القوّة والأمل والصبر والتحمّل، إخوانَهم بالله وقدرته قائلين: كم من جماعة قليلة مؤمنة صابرة، غلبت -بإذن الله وأمره- جماعة كثيرة كافرة باغية، والله مع الصابرين بتوفيقه ونصره.

أعمال الإنسان في ميزان الإيمان بالغيب

عندما نقرأ النصوص الشرعيّة، نجدها تؤكّد على أهمّيّة وجود تفسير شامل للوجود يتعامل الإنسان مع الكون على أساسه، وهذا التفسير يُقَرِّبُ الحقائق الكبرى وعلاقتها بالحياة؛ ولذلك يربط القرآن بين جميع تصرّفات الإنسان وبين مستوى إيمانه بالغيب، كما يطرح قضيّة الغيب كمعيار تفسيريّ لتصرّفات المكلّفين

ودوافعهم؛ فنجد أوّل سورة في القرآن بعد الفاتحة تربط الإيمان بالقرآن والهداية به بالإيمان بالغيب، قال -تعالى-: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾[1].

ولهذا، فإنّ الإنسان لا يتحرّك في هذه الدنيا قيد أنملة دون أن يكون عمله وسلوكه منعكسًا عن إيمانه واعتقاده بالغيب، وبالتالي ما يصدر عنه، سواء أكان عملًا منصوصًا في السنّة الشريفة، أم عملًا يرتبط بأصل أو تشريع عامّ وكلّيّ في الشريعة الإسلاميّة، أو ممّا اصطلح عليه «التسامح في أدلّة السنن» عند العلماء، يدور في دائرة الطاعة والإيمان بالغيب.

فمثلًا عندما نقرأ في أدعية طلب الرزق المرويّة عن أهل البيت عليهم السلام، والموزّعة على أوقات متعدّدة من الليل والنهار، ولا سيّما بعد الصلوات الواجبة والمستحبّة، ورد عن الإمام الصادق عليه السلام في طلب الرزق عقب صلاة العشاء الآخرة، ومنها ما ورد دبر صلاة الليل: «**يا خَيْرَ مَدْعُوٍّ، وَيا خَيْرَ مَسْؤُولٍ، وَيا أَوْسَعَ مَنْ أَعْطى، وَيا خَيْرَ مُرْتَجى، اُرْزُقْني وَأوسِعْ عَلَيَّ مِنْ رِزْقِكَ، وَسَبِّبْ لي رِزْقًا مِنْ قِبَلِكَ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ**»[2]. وكذا ما ورد في مفاتيح الجنان في موارد متعدّدة ويمكن جمعها في

(1) سورة البقرة، الآيتان 2-3.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص551-552.

ثلاثة محاور، وهي: أصل طلب الرزق، وطلب السَعة في الرزق، وطلب الرزق الحلال: «**أَوْسِعْ عَلَيَّ مِنَ الرِّزْقِ الْحَلَالِ**»[1]، و«**يا من لا يبسط الرزق إلّا هو**»[2] و«**وتُوَسِّعَ عَلَيَّ مِنَ الرِّزْقِ الْحَلَالِ**»[3]، وغيرها الكثير من الأدعية والأذكار.

والملاحظ في مضامين هذا الأدعية أنّها تستند إلى الاستغفار والتوبة والإيمان بالغيب، حيث تستند إلى التوحيد في الرازقيّة وتسليم الأمر إلى الله، وهذا ما يدلّ على أنّهم عليهم السلام يعودون إلى الله -تعالى- في طلب الرزق، كما يتوكّلون عليه -سبحانه وتعالى- في الجانب العمليّ في أمورهم كلّها، وأنّ سيرتهم التربويّة تقوم على هذه العلاقة الصحيحة بالله التي ترتكز على التوحيد لتنطلق منه في الاحتياجات الدنيويّة كلّها بصرف النظر عن مصاديقها.

المدد الغيبيّ للإمام المهديّ عجل الله فرجه

إذا عرفنا أنّ الإمام المهديّ عجل الله فرجه مقرون بلا فصل بالإرادة الربّانيّة التي إذا أراد شيئًا يقول له كن فيكون، وأنّه عجل الله فرجه مزوّدٌ بالقوّة الإلهيّة القاهرة، والمدد السماويّ المظفَّر، والميراث النبويّ الباهر، سندرك كيف يخضع له الكلّ، ويهيمن على الجميع، ويغلب جميع الظالمين والمستكبرين، وقد أراد الله -تعالى- ذلك بصريح قوله

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج4، ص407.

(2) الكفعمي، الشيخ إبراهيم، البلد الأمين والدرع الحصين، مكتبة الصدوق، إيران - طهران، 1383هـ، لا.ط، ص410.

(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج4، ص71.

-تعالى-: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾[1].

وقد استفاضت السنّة فيما يدلّ على أنّه عجل الله فرجه منصور، وأنّ الغيب معه، نذكر منها:

1. له الاسم الإلهيّ الأعظم الذي هو معدن القُدرات، اثنان وسبعون منه[2].
2. وله الاسم الإلهيّ الخاصّ الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا جعله بين المسلمين والمشركين، لم تصل من المشركين إلى المسلمين نشّابةٌ قطّ[3].
2. وله عصا موسى عليه السلام التي تأتي بالعجب العُجاب[4].
4. وله خاتم سليمان عليه السلام الذي كان إذا لبسه سخّر الله -تعالى- له الملائكة، والإنس، والجنّ، والطير، والريح[5].
5. وله تابوت بني إسرائيل التي فيها السكينة والعلم والحكمة، ويدور معها العلم والنبوّة والمُلك[6].
6. وله امتلاك الرعب في قلوب الأعداء، يسير معه أمامه وخلفه، وعن يمينه وشماله.

---

(1) سورة القصص، الآية 5.
(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص230.
(3) الشيخ المفيد، الإرشاد، مصدر سابق، ج2، ص188.
(4) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج1، ص231.
(5) المصدر نفسه.
(6) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج26، ص203.

ولا يخفى شدّة تأثير هذا الرعب في دهشة العدوّ، وعدم تسلّطه على استعمال السلاح أساسًا[1].

7. وله نصرة الله -تعالى- الّتي لا يفوقها شيء: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ﴾[2]، فإنّ الله -تعالى- ينصره حتّى بزلازل الأرض وصواعق السماء.

8. وله الولاية الإلهيّة العظمى التي جعلها الله -تعالى- لهم تكوينًا وتشريعًا، كما ثبت بالأدلّة المتواترة[3].

9. وله الاحتجاجات والحجج الكاملة، التي يحتجّ بها بأوصافه وعلائمه الموجودة في التوراة والألـواح، ثمّ اقتداء النبيّ عيسى عليه السلام به في الصلاة التي توجب خضوع كثير من اليهود والنصارى له[4].

وبهذا تعرف أنّ الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف يقوم بالقوّة الإلهيّة التي لا تقاومها القوّة البشريّة مهما بلغت وتطوّرت.

فبمثل هذه القوّة الإلهيّة يقوم الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف بأمر الله، ويقيم دولة الله، فيرث الأرض عبادُه الصالحون.

---

(1) الشيخ النعمانيّ، الغيبة، مصدر سابق، ص307.

(2) سورة آل عمران، الآية 160.

(3) السند، الشيخ محمّد، في رحاب الزيارة الجامعة الكبيرة، إعداد السيّد علي جلال الشرخات، باقيات، 1428 - 2007م، ط1، ص595.

(4) راجع أحاديثه المتظافرة من الفريقين في: الگلپايگاني، الشيخ لطف الله الصافي، منتخب الأثر في الإمام الثاني عشر عليه السلام، مؤسّسة الوفاء، لبنان - بيروت، 1403هـ - 1983م، ط2، ص206.

القائم منّا منصور بالرعب

ويمكن إيجاز ما ذكرناه من عناصر القوّة والنصرة للإمام المهديّ عجل الله فرجه في العديد من الروايات، نكتفي بروايتين:

عن الإمام الباقر عليه السلام: «**لو خرج قائم آل محمد عليه السلام لنصره الله بالملائكة المسوّمين، والمردفين، والمنزلين، والكروبيّين. يكون جبرائيل أمامه، وميكائيل عن يمينه، وإسرافيل عن يساره، والرعب يسير مسيرة شهر أمامه، وخلفه، وعن يمينه، وعن شماله، والملائكة المقرّبون حذاه**»[1].

وعنه عليه السلام أيضًا: «**القائم منّا منصور بالرعب، مؤيّد بالنصر، تطوى له الأرض، وتظهر له الكنوز، ويبلغ سلطانه المشرق والمغرب ويظهر الله -عزّ وجلّ- به دينه ولو كره المشركون، فلا يبقى في الأرض خراب إلّا عمر، وينزل روح اللّه عيسى بن مريم عليه السلام فيصلّي خلفه...**»[2].

(1) الشيخ النعمانيّ، الغيبة، مصدر سابق، ص239-240.

(2) الكورانيّ، الشيخ علي العامليّ، معجم أحاديث الإمام المهديّ عليه السلام، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة، إيران - قم، 1411هـ، ط1، ج5، ص174.

الموعظة الخامسة عشرة

الثقة بالله وحسن الظنّ به

اللّهُمَّ، أَنْتَ ثِقَتي في كُلِّ كَرْبٍ،
وَرَجائِي في كُلِّ شِدَّة

الهدف العامّ

التعرّف إلى مفهوم حسن الظنّ باللّه -تعالى- وآثاره الإيجابيّة.

المحاور الرئيسة

- حسن الظنّ بالله
- سوء الظنّ بالله
- الإنسان بين الثقة والأمل
- آثار الثقة بالله
- الثقة والأمل في كربلاء
- الإمام المهديّ عجل الله فرجه، الأمل الموعود للبشريّة

قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْۚ قَالُواْ خَيْرًاۗ﴾[1].

حسن الظنّ بالله -تعالى-

إنّ فهم المقصود من حسن الظنّ بالله يكون بالعودة إلى ما أُثر عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام، فقد ورد الكثير من الروايات الصادرة عنهم عليهم السلام، والتي تحدّثت بوضوح عن حسن الظنّ بالله، منها:

عن الإمام الرضا عليه السلام: «**أحسِن الظنّ بالله؛ فإنّ الله -عزّ وجلّ- يقول: أنا عند ظنّ عبديَ المؤمن؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشرّ**»[2].

أي إن كان ظنّه بي خيرًا فجزاؤه خير، وإن كان ظنّه بي شرًّا فجزاؤه شرّ. وهذا الحديث يؤكّد وجود الارتباط بين الظنّ الذي يختاره العبد بالله مع الجزاء، وإنّ الأمر لا يتعدّى الاختيار القلبيّ الذي يظهر أثره على المرء في عمله.

عن الإمام الباقر عليه السلام: «**أحسنوا الظنّ بالله، واعلموا أنّ للجنّة**

(1) سورة النحل، الآية 30.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص72.

ثمانية أبواب، عرض كلّ باب منها مسيرة أربعين سنة»[1].

يقرن الإمام عليه السلام في هذا الحديث بين حسن الظنّ ودخول الجنّة، فسَعة رحمة الله -عزّ وجلّ- والتعلّق بها يفتحان للإنسان أبواب الجنّة على سعتها، فلا ينبغي -والحال هذه- أن يكون الإنسان سلبيًّا بالإعراض عنها.

عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله -تبارك وتعالى-: لا يتّكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي؛ فإنّهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم وأفنَوا أعمارهم في عبادتي، كانوا مقصّرين غير بالغين في عبادتهم كنه عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جنّاتي ورفيع درجاتي العلى في جواري، ولكن فبرحمتي فليثقوا، وبفضلي فليفرحوا، وإلى حسن ظنّي بي فليطمئنّوا؛ فإنّ رحمتي عند ذلك تدركهم، ومنّي يبلغهم رضواني، ومغفرتي تلبسهم عفوي، فإنّي أنا الله الرحمن الرحيم، وبذلك تسمّيت**»[2].

وهذا الحديث يوضّح نقطة مهمّة في مسألة حسن الظنّ بالله، وهي أنّ حسن الظنّ لا يعني ترك العمل، بل عدم الاتّكال على العمل، واعتبار العمل وحده المنجي للإنسان والبالغ به عبادة الله ورضوانه، فحاجة الإنسان إلى رحمة الله وحسن ظنّه بها أكثر من حاجته إلى عمله.

(1) الشيخ الصدوق، الخصال، مصدر سابق، ص408.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص71.

عن بعض أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام أنّه قال: كنت وراء أبي الحسن موسى عليه السلام على الصفا أو على المروة، وهو لا يزيد على حرفين: «**اللهمّ، إنّي أسألك حسن الظنّ بك في كلّ حال، وصدق النيّة في التوكّل عليك**»[1].

وفي هذا الحديث تأكيد على أنّ المؤمن لا يستغني عن حسن الظنّ بالله -تبارك وتعالى- في جميع حالاته، سواء عند نزول النعمة بأن يرجو استمرارها والمزيد منها، أو عند نزول المصيبة بأن يرجو زوالها وعدم حدوثها ثانية، وسواء عند ارتكاب الطاعة بأن يرجو من الله قبولها، أو عند ارتكاب المعصية بأن يستغفر الله ويرجو قَبول توبته.

عن الإمام الباقر عليه السلام: «**وجدنا في كتاب عليّ عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال وهو على منبره: والذي لا إله إلّا هو، ما أعطي مؤمن قطّ خير الدنيا والآخرة إلّا بحسن ظنّه بالله، ورجائه له، وحسن خلقه، والكفّ عن اغتياب المؤمنين.**

والذي لا إله إلّا هو، لا يعذّب الله مؤمنًا بعد التوبة والاستغفار إلّا بسوء ظنّه بالله، وتقصيره من رجائه، وسوء خلقه، واغتيابه للمؤمنين.

والذي لا إله إلّا هو، لا يحسن ظنّ عبد بالله إلّا كان الله عند ظنّ عبده المؤمن؛ لأنّ الله كريم، بيده الخيرات، يستحيي أن

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج4، ص433.

يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظنّ ثمّ يخلف ظنّه ورجاءه؛ فأحسنوا بالله الظنّ، وارغبوا إليه»[1].

يقول العلّامة المجلسيّ تعليقًا على هذا الحديث: «قوله عليه السلام: «**إلّا بحسن ظنّه**»، قيل: معناه حسن ظنّه بالغفران إذا ظنّه حين يستغفر، وبالقبول إذا ظنّه حين يتوب، وبالإجابة إذا ظنّها حين يدعو، وبالكفاية إذا ظنّها حين يستكفي؛ لأنّ هذه الصفات لا تظهر إلّا إذا حسن ظنّه بالله -تعالى-، وكذلك تحسين الظنّ بقبول العمل عند فعله إيّاه، فينبغي للمستغفر والتائب والداعي والعامل أن يأتوا بذلك موقنين بالإجابة بوعد الله الصادق، فإنّ الله -تعالى- وعد بقبول التوبة الصادقة والأعمال الصالحة، وأمّا لو فعل هذه الأشياء وهو يظنّ أن لا يقبل ولا ينفعه، فذلك قنوط من رحمة الله -تعالى-، والقنوط كبيرة مهلكة»[2].

سوء الظنّ بالله -تعالى-

يقابل حسن الظنّ بالله سوء الظنّ به، قال -تعالى-: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[3].

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص71-72.

(2) المجلسيّ، العلّامة محمّد باقر بن محمّد تقي، مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، تصحيح السيّد هاشم الرسولي، دار الكتب الإسلاميّة، 1404هـ - 1363 ش، ط2، ج8، ص44.

(3) سورة الفتح، الآية 6.

تتحدّث هذه الآية عن سوء الظنّ بالنسبة إلى ساحة الربوبيّة والحقيقة المقدّسة الإلهيّة، فتقول : إنّ سوء الظنّ بالله -تعالى- من جانب هؤلاء هو لأنّهم كانوا يتصوّرون أنّ الوعود الإلهيّة للنبيّ الأكرمﷺ سوف لا تتحقّق أبدًا، وأنّ المسلمين -مضافًا إلى عدم انتصارهم على العدوّ- فإنّهم سوف لا يعودون إلى المدينة إطلاقًا، كما كان في ظنّ المشركين -أيضًا- حيث توهّموا أنّهم سوف يهزمون رسول الله وأصحابه؛ لقلّة عددهم وعدم توافر الأسلحة الكافية في أيديهم، وأنّ نجم الإسلام منذر بالزوال والأفول، في حين أنّ الله -تعالى- وعد المسلمين بالنصر الأكيد، وتحقّق لهم ذلك، بحيث إنّ المشركين لم يجرّؤوا أبدًا على الهجوم على المسلمين.

واللافت في هذه الآية، أنّ مسألة سوء الظنّ بالله -تعالى- كانت بمثابة القدر المشترك بين المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، وبيّنت هذه الآية أنّ جميع هذه الفئات والطوائف شركاء في هذا الأمر، بخلاف المؤمنين الذين يحسنون الظنّ بالله -تعالى- وبوعده وبرسوله الكريم، ويعلمون أنّ هذه الوعود سوف تتحقّق قطعًا، ولعلّ تحقّقها قد يتأخّر فترة من الوقت لمصالح معيّنة، ولكنّها أمر حتميّ في حركة عالم الوجود؛ لأنّ الله -تعالى- العالم بكلّ شيء والقادر على كلّ شيء لا يمكن مع هذا العلم المطلق والقدرة اللامتناهية أن يتخلّف عن وعده.

الآثار السلبيّة لسوء الظنّ بالله

إنّ سوء الظنّ بالله -تعالى- وعدم الثقة بالوعود الإلهيّة:

1. عنصرٌ هدّامٌ لإيمان الشخص يبعده عن الله -تعالى-، وقد جاء في مناجاة النبيّ داود عليه السلام: «**يا رَبِّ، ما آمَنَ بِكَ مَنْ عَرَفَكَ فَلَم يُحسِنِ الظنّ بِكَ**»[1].
2. يتسبّب في فساد العبادة وحبط العمل؛ لأنّه يقتل في الإنسان روح الإخلاص وصفاء القلب، وقد ورد: «**إِيّاكَ أَنْ تُسِيءَ الظنّ؛ فَإِنَّ سُوءَ الظنّ يُفسِدُ العِبادَةَ وَيُعَظِّمُ الوِزرَ**»[2].

الإنسان بين الثقة والأمل

إنّ (طول الأمل) من الرذائل الأخلاقيّة الّتي تجرّ الإنسان إلى ارتكاب أنواع الذنوب والخطايا، وتبعده عن الله -تعالى-. وهذا لا يعني أنّ الأمل رذيلة بالمطلق، فإنّ أصل (الأمل) له دور مهمّ في إدامة حركة الحياة والتطوّر البشريّ في الأبعاد المادّيّة والمعنويّة. فإذا سُلب الأمل-مثلًا- من قلب (الأمّ) فإنّها لا تجد دافعًا إلى إرضاع طفلها، وتحمّل أنواع المشقّة والألم بتربيته وتنشئته، ففي الحديث النبويّ الشريف: «**الأمل رَحْمَةٌ لأمّتي، وَلَوْلاَ الأمل ما رضعت وَالِدَةٌ وَلَدَهَا، وَلاَ غَرَسَ غَارِسٌ شَجَرًا**»[3].

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج67، ص394.
(2) الليثي الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص99.
(3) الديلميّ، الحسن بن محمّد، أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق ونشر مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، إيران - قم، لا.ت، لا.ط، ص295.

ورد عن المسيح عليه السلام أنّه كان جالسًا يومًا في مكان، وشاهد شيخًا كبيرًا يحرث الأرض بمسحاته، ويعمل على سقيها وزراعتها، فطلب المسيح عليه السلام من الله -تعالى- أن يسلب منه الأمل في الحياة: «**اللهمّ، انزع منه الأمل**»، فوضع الشيخ المسحاة واضطجع، فلبث ساعة، فقال عيسى عليه السلام: «**اللهمّ، اردد إليه الأمل**»، فقام وجعل يعمل، فسأله عيسى عن ذلك، فقال: بينما أنا أعمل إذ قالت لي نفسي: إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير؟! فألقيت المسحاة واضطجعت، ثمّ قالت لي نفسي: والله، لا بدّ لك من عيشٍ ما بقيت، فقمت إلى مسحاتي[1].

والثقة بالله -تعالى- تحيي الأمل في النفوس، وتمنع عنها تسلّل اليأس والإحباط، وهي باعثة على التغلّب على الأفكار والوساوس الشيطانيّة التي تسقط الإنسان في وحول الرذيلة والمعصية. فأحيانًا يغلق الله -سبحانه وتعالى- أمامنا بابًا لكي يفتح لنا بابًا آخر أفضل منه، ولكن الناس الفاقدين للثقة بالله يضيع تركيزهم وطاقتهم في النظر إلى الباب الذي أغلق، بدلًا من باب الأمل الذي انفتح أمامه على مصراعيه.

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج14، ص329.

آثار الثقة بالله

نتائج الثقة بالله وحسن الظنّ به -تعالى- وآثارها كثيرة، وتنعكس على حياة الإنسان وسلوكه الفرديّ والاجتماعيّ، نذكر منها بالاستناد إلى الروايات، الآتي:

1. رجاء الله فقط

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**حسن الظنّ بالله أن لا ترجو إلّا الله، ولا تخاف إلّا ذنبك**»[1].

وعنه عليه السلام: «**من ترك التزويج مخافة العيلة، فقد أساء الظنّ بالله**»[2].

وذلك أنّ ترك التزويج هو أثر عمليّ مترتّب على خوف الفقر، وهو يفصح عن توقّع التارك عدم نزول رحمة الله عليه، ولا يراد من سوء الظنّ سوى هذا المعنى.

2. أثره على الصراط

عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: «**رأيت رجلًا من أمّتي على الصراط يرتعد كما ترتعد السعفة في يوم ريح عاصف، فجاءه حسن ظنّه بالله، فمسكت رعدته**»[3].

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص72.
(2) المصدر نفسه، ج5، ص330.
(3) الميرزا النوريّ، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج11، ص250.

3. الله عند ظنّ عبده المؤمن

عن رسول الله ﷺ: «**والذي لا إله إلّا هو، لا يحسن ظنّ عبد مؤمن بالله إلّا كان الله عند ظنّ عبده المؤمن؛ لأنّ الله كريم بيده الخيرات، يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظنّ، ثمّ يخلف ظنّه ورجاءه؛ فأحسنوا بالله الظنّ وارغبوا إليه**»[1].

4. ثمن الجنّة

عن رسول الله ﷺ: «**لا يموتنّ أحدكم حتّى يحسن ظنّه بالله -عزّ وجلّ-؛ فإنّ حسن الظنّ بالله -عزّ وجلّ- ثمن الجنّة**»[2].

الثقة والأمل في كربلاء

حينما نظر الإمام الحسين عليه السلام إلى جمع بني أميّة في كربلاء كأنّه السيل، وقد حاصره الأعداء يوم عاشوراء، رفع يده بالدعاء، وقال: «**اللّهُمَّ، أَنْتَ ثِقَتي في كُلِّ كَرْبٍ، وَرَجائِي في كُلِّ شِدَّة، وَأَنْتَ لي في كُلِّ أَمْرٍ نَزَلَ بي ثِقَةٌ وَعُدَّةٌ...**» [3].

هذه الفقرة الأولى من الدعاء الّتي دعا بها عليه السلام، تعكس محبّة الله، وثقته به -تعالى- التي غمرت قلبه المقدّس، فكان الرضا بقضاء الله، والثقة بعنايته، فقدّم عليه السلام الخوف والرجاء في دعائه هذا كمنهج اتّبعه، والذي يميّزه عن بقيّة أدعيته في ليلة

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص72.
(2) الشيخ الطوسيّ، الأمالي، مصدر سابق، ص379.
(3) الشيخ المفيد، الإرشاد، مصدر سابق، ج2، ص96.

عاشوراء ويومها، ومن شأنه أن يكون منهجًا جديدًا لتجاوز الأزمات التي تمرّ بها النفس الإنسانيّة، وهو منهج تفريج الهموم وكشف الكروب.

الإمام المهديّ عجل الله فرجه، الأمل الموعود للبشريّة

إنّ الظنّ الحسن بالله -تعالى- يدفعنا إلى الإيمان والاعتقاد بأنّه سوف ينقذ هذه البشريّة من الظلم الذي ألحقه بها جنود الشيطان، وهذا ما تمّ التأكيد عليه في القرآن والروايات، ولا شكّ أنّه سوف يتحقّق هذا الوعد، فتخضرّ آمال المؤمنين، وتنتعش قلوبهم المهمومة، وتقبض أكفّهم على الراية، وإن عتت العواصف وطال الطريق، فعن أمير المؤمنين عليه السلام: «**فانظروا أهل بيت نبيّكم، فإنْ لبدوا فالبدوا، وإنْ استنصروكم فانصروهم، فليفرجنّ الله [الفتنة] برجلٍ منّا أهل البيت**»[1].

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج34، ص118.

الموعظة السادسة عشرة

حُسن الظنّ بالآخرين

كذِّب سمعك وبصرك عن أخيك

الهدف العامّ

إظهار أهمّية حُسن الظنّ بالآخرين وفضله وآثاره، وبيان موارد الحيطة والحذر.

المحاور الرئيسة

- فضيلة حُسن الظنّ
- موارد حُسن الظنّ
- فضل حُسن الظنّ بالناس في الدين والدنيا
- عوامل مساعدة على حُسن الظنّ بالناس
- موارد لا يحسن فيها حُسن الظنّ
- لا وجود لسوء الظنّ بالآخر في المجتمع المهدويّ

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ضع أمر أخيك على أحسنه، حتّى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنَّنّ بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملًا**»[1].

فضيلة حُسن الظنّ

أرست الشريعة الإسلاميّة ببعدها الأخلاقيّ والسلوكيّ مفاهيم تربويّةً أرادت من خلالها حماية المجتمع وتحصينه من كلّ ما يؤدّي فيه إلى الانحراف أو الفساد والاختلاف، ومن جملة تلك المفاهيم كان التحلّي بفضيلة حُسن الظنّ، لما فيه من تعزيز روابط الألفة والمحبّة بين أبناء المجتمع، فحين تكون النفوس صافيةً، والقلوب متآلفةً، تتعزَّز عناصر القوّة والمنعة للأمّة في وجه الأعداء، بحيث لا يطمعون فيهم أبدًا؛ هذا فضلًا عن الحكم الشرعيّ لسوء الظنّ وما يسبّبه من تكدّر البال، وأذيّة النفس، وحالة القلق والاضطراب على الفرد، والوهن والضعف في المجتمع، ولذلك نبّه -تعالى- إلى قضيّة سوء الظنّ بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَ لَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص362.

أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾[1]، وممّا يلفت النظر أنّه قد نهى عن كثير من الظنّ، إلّا أنّه في مقام التعليل تقول الآية: ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾. ولعلّ هذا الاختلاف في التعبير ناشئ من أنّ الظنون السيّئة بعضها مطابق للواقع وبعضها مخالف له، فما خالف الواقع فهو إثم لا محالة، ولذلك قالت الآية: ﴿إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾، وعلى هذا فيكفي هذا البعض من الظنون الذي يكون إثمًا لأن نتجنّب سائر الظنون؛ لئلّا نقع في الإثم![2].

موارد حسن الظنّ

1. حُسن الظنّ بالله -تعالى-، هو من أفضل المراتب وأعظمها، وقد رغّبت فيه الآيات والروايات:

أ. الله -تعالى- عند ظنّ عبده به: فعن الإمام الرضا عليه السلام: «**أحسن الظنّ بالله، فإنّ الله -عزّ وجلّ- يقول: أنا عند حسن ظنّ عبدي المؤمن بي، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا**»[3].

ب. حُسن الظنّ بالله ثمن الجنّة: عن الإمام محمد الباقر عليه السلام قال: «**قال داود عليه السلام: يا ربّ، ما آمن بك من عرفك فلم يحسن الظنّ بك**»[4].

---

(1) سورة الحجرات، الآية 12.

(2) الشيرازيّ، الشيخ ناصر مكارم، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب، إيران - قم، 1426هـ، ط1، ج16، ص549.

(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص72.

(4) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج67، ص387.

2. حُسن الظنّ بالتكوين والتشريع، وهو ما يُوجب السرور والرضا الدائم ممّا يصيبه في الدنيا، لكونه يرى أنّ النظام التكوينيّ والقانون التشريعيّ هو الأتمّ والأجمل والأحسن.

أ. من ودائع الأنبياء الرضا بما يقسمه الله: عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «**ثلاث تناسخها الأنبياء من آدم عليه السلام حتّى وصلنَ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان إذا أصبح يقول: اللّهمّ، إنّي أسألك إيمانًا تباشر به قلبي، ويقينًا حتّى أعلم أنّه لا يصيبني إلّا ما كتبت لي، ورضّني بما قسمت لي**»[1].

3. حُسن الظنّ بالناس، ومعناه إذا سمعت من أخيك المسلم قولًا، أو رأيت منه عملًا، واحتملت فيها الفساد، فيجب إلغاء هذا الاحتمال، وحمل قوله أو عمله على الأحسن، وهذا المورد هو الذي أولاه الإسلام العناية الخاصّة، ويُعبّر عنه في كلمات الفقهاء بأصالة الصحّة في فعل الغير.

فضل حُسن الظنّ بالناس في الدين والدنيا

1. سجيّة حسنة: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**حُسن الظنّ من أفضل السجايا وأجزل العطايا**»[2].

2. حُسن الظنّ علامة على كمال إيمان المتحلّي به، فلا يظنّ

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص522.

(2) الميرزا النوريّ، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج11، ص248.

خيرًا بالآخرين إلّا مَن كان منهم، وفي قباله نجد في الروايات أنّ الدين والإيمان لا يجتمعان مع سيّئ الظنّ، كما عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**لا دين لمسيء الظنّ**»[1]، و«**لا إيمان مع سوء ظنّ**»[2].

3. فيه وقاية من الوقوع في الفتنة والشرّ؛ لأنّ سوء الظنّ من أبواب الفتنة والشرّ، وقد دلّت الآية على وجوب الاحتراز منه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ...﴾[3]، حيث إنّ سوء الظنّ مفتاح للتجسّس، والتجسّس مفتاح لذكر العيوب والوقوع في الغيبة. عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إيّاك أن تغلبك نفسك على ما تظنّ، ولا تغلبها على ما تستيقن، فإنّ ذلك من أعظم الشرّ**»[4].

4. أحد طرق زيادة الألفة والمحبّة بين أفراد المجتمع المسلم، وحماية له من التفكّك والتشرذم، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من حسُن ظنّه بالناس؛ حاز منهم المحبّة**»[5].

---

(1) التميميّ الآمديّ، عبد الواحد بن محمّد، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، تحقيق وتصحيح مصطفى درايتي، مكتب الإعلام الإسلاميّ، إيران - قم، 1407هـ، ط1، ص264.

(2) المصدر نفسه.

(3) سورة الحجرات، الآية 12.

(4) التميميّ الآمديّ، تصنيف غرر الحكم ودرر الكلم، مصدر سابق، ص72.

(5) المصدر نفسه، ص253.

5. حُسن الظنّ حصن منيع، يحمي من إشاعة الفاحشة وانتشار الرذيلة، وبه يسلم المجتمع من انتهاك حقوق الناس وأعراضهم.
6. دليل على سلامة القلب، وطهارة النفس، وزكاء الروح.

عوامل مساعدة على حُسن الظنّ بالناس

1. تجنّب الحكم على النيّات: فالله -تعالى- وحده المطّلع على نوايا عباده، والعالم ما في الصدور، عن أسامة بن زيد قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سريّة، فصبّحنا الحُرَقات من جهينة، فأدركت رجلًا، فقال: لا إله إلّا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «**أقال: لا إله إلّا الله، وقتلته؟**»، قلت: يا رسول الله، إنّما قالها خوفًا من السلاح؟ قال: «**أفلا شققت قلبه حتّى تعلم أقالها أم لا؟**»، فما زال يكرّرها حتّى تمنّيت أنّي أسلمت يومئذ[1].
2. حمل الكلام على أحسن المحامل، لطالما هناك محامل يمكن أن تُحمل عليها، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ضع أمر أخيك على أحسنه، حتّى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنَّن بكلمة خرجت من أخيك سوءًا وأنت تجد لها في الخير محملًا**»[2].
3. التماس الأعذار للآخرين، عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**اطلب لأخيك عذرًا، فإن لم تجد له عذرًا، فالتمس له عذرًا**»[3].

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج21، ص65.
(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص362.
(3) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج10، ص100.

4. استحضار آفات سوء الظنّ، عن النبيّ الأكرم ﷺ: «**إنّ الله حرَّم من المسلم دمه وماله وعرضه، وأن يُظنّ به ظنّ السوء**»[1]. وإنّ سوء الظنّ لا يؤثّر على الطرف المقابل ويسقط حيثيّته فحسب، بل هو بلاء عظيم على صاحبه؛ لأنّه يكون سببًا لإبعاده عن التعاون مع الناس، ويخلق له عالمًا من الوحشة والغربة والانـزواء، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**من لم يَحسُن ظنّه؛ استوحش من كلّ أحد**»[2]. إنّ سيّئي النظرة والظنّ يخافون من كلّ شيء، ويستوحشون من كلّ أحد، وتستولي على أنفسهم نظرة الخوف، فلا يستطيعون أن يقفوا على وليّ ومؤنس يطوي الهموم، ولا يجدون شريكًا للنشاطات الاجتماعيّة، ولا معينًا ونصيرًا ليوم الشدّة![3].

5. ترجيح قول المؤمن على 50 قسّامة، عن الفضيل عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: قلت له: جُعلت فداك، الرجل من إخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه، فأساله عن ذلك فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات؟ فقال لي: «**يا محمّد، كذِّب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسّامة، وقال لك قولًا، فصدِّقه وكذّبهم، لا تذيعنّ عليه شيئًا تشينه به وتهدم به**

(1) الفيض الكاشانيّ، المولى محمّد محسن، المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء، صحّحه وعلّق عليه علي أكبر الغفّاريّ، دفتر انتشارات اسلامى وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه قم، إيران - قم، لا.ت، ط2، ج5، ص268.

(2) الليثي الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص465.

(3) الشيخ ناصر مكارم الشيرازيّ، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، مصدر سابق، ج16، ص474.

مروءته؛ فتكون من الذين قال الله في كتابه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[1]»[2].

موارد لا يحسن فيها حُسن الظنّ

1. مجالسة الأشرار، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**مجالسة الأشرار تورث سوء الظنّ بالأخيار**»[3].
2. مواضع التهمة: عنه عليه السلام: «**مَن وقف نفسه موضع التهمة، فلا يلومنّ مَن أساء الظنّ به**»[4].
3. فساد الزمان وغلبة الجَور: عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**إِذَا اسْتَوْلَى الصَّلَاحُ عَلَى الزَّمَانِ وأَهْلِه، ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْه حَوْبَةٌ فَقَدْ ظَلَمَ، وإِذَا اسْتَوْلَى الْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وأَهْلِه، فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ**»[5].

لا وجود لسوء الظنّ بالآخر في المجتمع المهدويّ

إنّ المجتمع المهدويّ هو المجتمع الذي يأتي صاحب الزمان إليه ليصلحَه، وهو المجتمع الذي تطلّع إليه جميع الأنبياء والصالحين عبر التاريخ.

---

(1) سورة النور، الآية 19.
(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج8، ص147.
(3) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص531.
(4) الميرزا النوريّ، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج8، ص340.
(5) نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ عليه السلام)، مصدر سابق، ص489.

هذا المجتمع هو الـذي سيُبنى على إزالـة جـذور الظلم والطغيان، والارتقاء بالمستوى الفكريّ في مختلف الأصعدة، فـ«**لا يبقى خرابٌ إلّا عُمِّر**»[1] كما في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام.

في هكذا مجتمع مثاليّ، لا شكّ ولا ريب أنّه لن يكون هناك وجود لسوء الظنّ بالآخرين.

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج52، ص191.

الموعظة السابعة عشرة

ستر العيوب

الهدف العامّ

التعرّف إلى أهمّيّة الستر وفضله وآثاره، والتحذير من تتبّع العيوب والعثرات.

المحاور الرئيسة

- الله ستّار العيوب
- النهي عن تتبّع العثرات والعيوب
- فضل ستر عيوب المؤمنين وآثاره
- موارد لا يصحّ فيها الستر

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**لو وجدت مؤمنًا على فاحشة، لسترته بثوبي**»[1].

الستر من أجلّ الأخلاق التي ينبغي للمسلم أن يتحلّى بها؛ لما فيها من حفظ للأعراض والتجاوز عن العورات والستر على أصحاب المعاصي والسيّئات، والحيلولة دون إشاعة الفاحشة بين الناس، والتي نبّهت الآيات الشريفة إلى عظيم خطرها، يقول -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[2].

اللّه ستّار العيوب

لو التفت أيٌّ منّا إلى نفسه لعلم كم لديه من العيوب قد سترها المولى عليه ولم يكشفها أمام الخلائق، والمتأمِّل في كلمات المعصومين عليهم السلام وأدعيتهم فيما يرتبط بستر الله -تعالى- على عبده يدرك مدى ألطافه بخلقه.

(1) الميرزا النوريّ، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج12، ص424.
(2) سورة النور، الآية 19.

1. ستر الله على من يستحقّ الفضيحة من عباده: «**يَا إِلَهِي، فَلَكَ الْحَمْدُ، فَكَمْ مِنْ عَائِبَةٍ سَتَرْتَهَا عَلَيَّ فَلَمْ تَفْضَحْنِي، وَكَمْ مِنْ ذَنْبٍ غَطَّيْتَه عَلَيَّ فَلَمْ تَشْهَرْنِي، وَكَمْ مِنْ شَائِبَةٍ أَلْمَمْتُ بِهَا فَلَمْ تَهْتِكْ عَنِّي سِتْرَهَا، وَلَمْ تُقَلِّدْنِي مَكْرُوه شَنَارِهَا، وَلَمْ تُبْدِ سَوْءَاتِهَا لِمَنْ يَلْتَمِسُ مَعَايِبِي مِنْ جِيرَتِي، وَحَسَدَةِ نِعْمَتِكَ عِنْدِي**»[1].

2. سيّئات أخفاها الله على الملائكة الكاتبين: «**... وكلّ سيئة أمرت بإثباتها الكرام الكاتبين، الذين وكّلتهم بحفظ ما يكون منّي، وجعلتهم شهودًا عليّ مع جوارحي، وكنت أنت الرقيب عليّ من ورائهم، والشاهد لما خفي عنهم، وبرحمتك أخفيته، وبفضلك سترته...**»[2].

3. طلب الستر الإلهيّ يوم القيامة: كما في المناجاة الشعبانيّة لأمير المؤمنين عليه السلام: «**إلهي، قد سترت عليّ ذنوبًا في الدنيا، وأنا أحوج إلى سترها عليَّ منك في الأخرى. إلهي، قد أحسنت إليَّ إذ لم تظهرها لأحد من عبادك الصالحين، فلا تفضحني يوم القيامة على رؤوس الأشهاد**»[3].

(1) الإمام زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجّاديّة، دفتر نشر الهادي، إيران - قم، 1418هـ، ط1، ص80، الدعاء 16.

(2) الشيخ الطوسيّ، مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد، مصدر سابق، ص849.

(3) ابن طاووس، السيّد رضيّ الدين أبو القاسم عليّ بن موسى الحسنيّ الحسينيّ، الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يعمل مرّة في السنة، تحقيق جواد القيوميّ الأصفهانيّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ، إيران - قم، 1414هـ، ط1، ج3، ص297.

4. الستر الإلهيّ الذي يعقب التوبة: يروي معاوية بن وهب، عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا تاب العبد توبة نصوحًا أحبّه الله فستر عليه في الدنيا والآخرة**»، فقلت: وكيف يستر عليه؟ قال: «**يُنسي ملكيه ما كتبا عليه من الذنوب، ويوحي إلى جوارحه: اكتمي عليه ذنوبه، ويوحي إلى بقاع الأرض: اكتمي ما كان يعمل عليك من الذنوب؛ فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب**»[1].

5. شدّة ستر الله على عبده: جاء في الحديث الشريف: «**إنّه يؤتى يوم القيامة بعبد يبكي، فيقول الله -سبحانه- له: لِمَ تبكي؟ فيقول: أبكي على ما سينكشف عني من عوراتي وعيوبي عند الناس والملائكة، فيقول الله: عبدي، ما افتضحتك في الدنيا بكشف عيوبك وفواحشك، وأنت تعصيني وتضحك! فكيف أفضحك اليوم بكشفها وأنت تعصيني وتبكي؟!**»[2].

النهي عن تتبّع العثرات والعيوب

أمرنا الإسلام بالتعامل مع الآخرين على قاعدة حسن الظاهر، وأن نحمل المؤمن على الأحسن ما دمنا نجد لذلك محملًا، بل وحرّمت الشريعة تتبّع عورات الناس وعثراتهم، معتبرةً ذلك نوعًا من التجسّس الممنوع شرعًا وأخلاقًا؛ لما يسبّب من هدم للبناء

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص430.

(2) النراقيّ، الشيخ محمّد مهدي، جامع السعادات، تحقيق وتعليق السيّد محمّد كلانتر، تقديم الشيخ محمّد رضا المظفّر، دار النعمان للطباعة والنشر، لا.م، لا.ت، لا.ط، ج2، ص209.

الاجتماعيّ، وقضاءٍ على تماسكه ولحمته.

1. حرمة إذاعة سرّ المؤمن: عن عبد اللّه بن سنان، قال: قلت له[1]: عورة المؤمن على المؤمن حرام؟ قال: «**نعم**»، قلت: يعني سفليه؟ قال: «**ليس حيث تذهب، إنّما هو إذاعة سرّه**»[2].
2. تتبّع العثرات وإحصاؤها للحديث بها أقرب إلى الكفر: عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يواخي الرجل الرجل على الدين، فيحصي عليه عثراته وزلاته ليعنّفه بها يومًا ما**»[3].
3. المتتبّع للعورات من جملة المنافقين: عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**يا معشر من آمن بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تتّبعوا عورات المؤمنين؛ فإنّه من تتبّع عورات المؤمنين، تتبّع الله عورته، ومن تتبّع الله عورته، فضحه ولو في جوف بيته**»[4].
4. مذيع الذنب كفاعله: عن الإمام الصادق عليه السلام: «**من اطّلع من مؤمن على ذنب أو سيّئة، فأفشى ذلك عليه، ولم يكتمها، ولم يستغفر الله له، كان عند الله كعاملها، وعليه وزر ذلك الذي أفشاه عليه، وكان مغفورًا لعاملها، وكان عقابه ما أفشى عليه**

(1) للإمام الصادق عليه السلام.

(2) الطوسيّ، الشيخ محمّد بن الحسن، تهذيب الأحكام في شرح المقنعة، تحقيق وتعليق السيّد حسن الموسويّ الخرسان، دار الكتب الإسلاميّة، إيران - طهران، 1364ش، ط3، ج1، ص375.

(3) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص355.

(4) البرقيّ، المحاسن، مصدر سابق، ص104.

في الدنيا مستورًا عليه في الآخرة، ثمّ يجد الله أكرم من أن يثنّي عليه عقابًا في الآخرة»[1].

5. كـذِّب سمعك وبصرك ولا تكن ممَّن يحبُّون أن تشيع الفاحشة: عن الإمام الكاظم عليه السلام في خطابه إلى محمّد بن الفضيل: «**يا محمّد، كذِّب سمعك وبصرك عن أخيك، وإن شهد عندك خمسون قسّامة، وقال لك قولًا فصدِّقه وكذِّبهم، ولا تذيعنّ عليه شيئًا تشينه به، وتهدم به مروءته، فيكون من الذين قال الله -عزَّ وجلّ-:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ﴾[2]»[3].

6. الأمر بالحكم على الظاهر دون الدخول إلى الباطن: عن النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنّي لم أؤمر أن أنقّب عن قلوب الناس، ولا أشقّ بطونهم**»[4].

فضل ستر عيوب المؤمنين وآثاره

كفى بستر العيوب فضلًا أنّه من أوصاف الله -تعالى-؛ ومن شدّة اعتنائه بستر الفواحش، أناط ثبوت الزنا -وهو أفحشها- بما لا يمكن اتّفاقه إلّا نادرًا، وهو مشاهدة أربعة عدول الزنا كالميل

(1) الميرزا النوريّ، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج9، ص134-135.

(2) سورة النور، الآية 19.

(3) الصدوق، الشيخ محمّد بن علي بن بابويه، ثواب الأعمال، تقديم السيّد محمّد مهدي السيّد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضيّ، إيران - قم، 1368 ش، ط2، ص247.

(4) الشيخ محمّد الريشهريّ، ميزان الحكمة، تحقيق ونشر دار الحديث، لا.م، لا.ت، ط1، ج1، ص390.

في المكحلة، فانظر إلى أنّه -تعالى- كيف أسبل الستر على عصاة خلقه في الدنيا، بتضييق الطرق المؤدّية إلى كشفه[1].

1. استر أخاك بما تطيق: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام: **«لو رأيت رجلًا على فاحشة؟ قال: أستره، قال: إن رأيته ثانيًا؟ قال: أستره بإزاري وردائي، إلى ثلاث مرّات، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم: لا فتى إلّا عليّ، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: استروا على إخوانكم»**[2].

2. الستر في الدنيا والآخرة: قال صلى الله عليه وآله وسلم: **«من ستر على مسلم، ستره الله -تعالى- في الدّنيا والآخرة»**[3].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: **«... ومن ستر على مؤمن عورة يخافها، ستر الله عليه سبعين عورة من عورات الدنيا والآخرة...»**[4].

موارد لا يصحّ فيها الستر

الأصل في ذكر العيوب هو المنع، ولكنّ الشريعة الإسلاميّة استثنت جملة من الموارد عن حرمة إذاعة العيوب، بل بعضها لا يصحّ فيها الستر، وقد تعرّض لها الفقهاء وعلماء الأخلاق في كتبهم ومجاميعهم.

(1) الشيخ النراقيّ، جامع السعادات، مصدر سابق، ج2، ص209.
(2) الميرزا النوريّ، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج12، ص424.
(3) الفيض الكاشانّي، المولى محمّد محسن، المحجّة البيضاء في تهذيب الأحياء، صحّحه وعلّق عليه علي أكبر الغفاري، دفتر انتشارات اسلامى وابسته به جامعه مدرسين حوزه علميه قم، إيران - قم، لا.ت، ط2، ج3، ص375.
(4) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص200.

1. تظلُّم المظلوم بذكر ظلم الظَّالم عند من يرجو رفعه الظلم عنه: قال -سبحانه-: ﴿لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ﴾[1]، عن ابن عباس: «**لا يحبّ الله الجهر بالسوء من القول، لكن من ظلم فلا حرج عليه أن يخبر بما ينل منه**»[2].
2. نصح المستشير، فانّ النّصيحة واجبة للمستشير، وخيانته قد تكون أقوى مفسدة من مفسدة عدم الستر، قال النبيّ ﷺ لفاطمة بنت قيس المشاورة في خطابها: «**معاوية صعلوك لا مال له، وأبو الجهم لا يضع العصا على عاتقه**»[3].
3. تحذير المسلم من الشرّ الوقوع في الضّرر لدنيا أو دين؛ لأنّ مصلحة دفع فتنة الشّر والضّرر أولى من هتك شرّ المغتاب، كالمبتدع الذي يُخاف من إضلاله النّاس، فإذا رأيت من يتردّد إلى مبتدع أو فاسق، وخفت أن يتعدّى إليه بدعته أو فسقه، فلك أن تكشف مساوئه، قال رسول الله ﷺ: «**إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم، وأكثروا من سبّهم والقول فيهم والوقيعة، وباهتوهم، كي لا يطمعوا في الفساد في الإسلام، ويحذرهم الناس، ولا يتعلّمون من بدعهم،**

---

(1) سورة النساء، الآية 148.

(2) الطوسيّ، الشيخ محمّد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن، تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العامليّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ، لا.م، 1409هـ، ط1، ج3، ص371.

(3) حبيب الله الهاشميّ الخوئيّ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة، تحقيق السيّد إبراهيم الميانجيّ، بنياد فرهنگ إمام المهدي عجل الله فرجه، لا.م، لا.ت، ط4، ج8، ص375.

يكتب الله لكم بذلك الحسنات، ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة» [1].

4. غيبة المتجاهر بالفسق فيما تجاهر به؛ فإنّ من لا يبالي بظهور فسقه بين النّاس لا يكره ذكره بالفسق، وقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا جاهر الفاسق بفسقه، فلا حرمة له ولا غيبة**»[2].

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص374.

(2) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص93.

الموعظة الثامنة عشرة

الشائعات وآثارها السلبيّة

واستطاع ابن زياد بالشائعات أن يشكّل جيشًا من أهل الكوفة ضدّ الإمام الحسين عليه السلام

الهدف العامّ

التنبيه إلى خطورة الشائعات وآثارها في هدم الإنسان والمجتمع، على الصعيدَين الدنيويّ والأخرويّ.

المحاور الرئيسة

- ما هي الشائعة؟
- أنواع الشائعات
- أسس التعامل مع الشائعات وكيفيّة تقويضها
- آثار الشائعات على الفرد والمجتمع
- أثر الشائعات في الكوفة
- من مظاهر الأمن والسلام في دولة الإمام المهديّ عجل الله فرجه

قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾[1].

ما هي الشائعة؟

الشائعة تعني الخبر المشاع والمنتشر بين الناس، ويحتمل الصدق أو الكذب[2]. أو بتعبير آخر: هي نشر الأخبار التي ينبغي سترها، لشَيْنِ الناس[3]. وهي نوع من النبأ الهادف الذي يكون مصدره مَجْهُولًا، وهي سريعة الانتشار، ذات طابع استفزازيّ أو هادئ حسب طبيعة ذلك النبأ.

أنواع الشائعات

تختلف أنواع الشائعات، وذلك حسب اختلافها في الهدف والزمان والمصدر والآثار المترتّبة عليها، وغير ذلك. ونشير إلى أهمّ أنواعها:

1. شائعات الخوف

يستهدف هذا النوع من الشائعات إثارة القلق والرعب في

(1) سورة الحجرات، الآية 6.

(2) المصطلحات، إعداد مركز المعجم الفقهيّ، لا.ن، لا.م، لا.ت، لا.ط، الإشاعة، صص 326.

(3) محمود عبد الرحمن عبد المنعم، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهيّة، دار الفضيلة، لا.ت، لا.ط، ج1، ص184، الإشاعة.

نفوس البشر، وتُعدّ من أنواع الشائعات المروّعة والمخيفة، فقد تمسّ أَحْدَاثًا، كالكوارث، أو أَشْخَاصًا، أو أمور الحرب والسلم، وغيرها من الأمور.

2. شائعات الكراهية

وتهدف إلى زرع بذور العداوة والفتنة والفرقة والبغضاء والحقد، وغيرها من العوامل التي تسبّب الكراهية والتباعد بين البشر، كأن تُطْلَقُ شائعة تهدف إلى بذر بذور الفتن بين شعبين؛ كالعرب والفرس، أو بين الطوائف الدينيّة؛ كالمسلمين وغيرهم، أو مذهبيّة؛ كالسنّة والشيعة.

3. الشائعات السياسيّة

تتمثّل بنشر معلومات سياسيّة كاذبة، تهدف إلى زعزعة الحكم وإحداث خلل في المنظومة السياسيّة للمجتمع، والتي تتعدّد دوافعها، إلّا أنّ لها آثارًا مدمِّرة، ما لم يُصار إلى التنبيه منها.

4. الشائعات الأمنيّة والعسكريّة

وهي من أهمّ وسائل الحرب النفسيّة التي يستخدمها الأعداء، بغية إثارة البلبلة ونشر الفزع، ليتسنّى لهم التّغلّب العسكريّ والسياسيّ لاحقًا.

5. الشائعات المتعلّقة بالأعراض

وهي الشائعات الأكثر خطورة على المجتمع؛ لأنّها تمَسُّ أعراض المؤمنين، ويؤدّي نشرها إلى هتك كرامة الإنسان والانتقاص منها،

والإساءة إلى سمعته بين أبناء مجتمعه، وفي بعض الأحيان قد تتسبّب هذه الشائعات بقتل نفسٍ بغير ذنب.

وقد نهت الشريعة الإسلاميّة عن الخوض في الأعراض، بل نهت عن إشاعة الفاحشة حتّى مع وقوعها، وتوعّدت بالعذاب الأليم لمرتكبي هذا الذنب. وقد جاء في حديث عن محمّد بن الفضيل، عن الإمام الكاظم عليه السلام، قال: قلت له: جُعلتُ فداك! الرجل من إخواني بلغني عنه الشيء الذي أكرهه، فأسأله عنه، فينكر ذلك، وقد أخبرني عنه قوم ثقات؟ فقال الإمام عليه السلام لي: «**يا محمّد، كذّب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسّامة، وقال لك قولًا، فصدّقه وكذّبهم، ولا تذيعنّ عليه شيئًا تشينه به وتهدم به مروءته، فتكون من الذين قال الله -عزّ وجلّ-:** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[1]»[2].

أسس التعامل مع الشائعات وكيفيّة تقويضها

إنّ القرآن الكريم رسم لنا منهجًا ضمن أسس واضحة في التعامل مع مرض الشائعات، وأهمّها:

(1) سورة النور، الآية 19.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج8، ص147.

1. التثبّت والتبيّن عند سماع الأخبار

ويتمثّل هذا الأساس بالنقاط الآتية:

أ. التبيّن

أرسى القرآن قاعدة منهجيّة أساسيّة في التعاطي مع الأخبار، وهي التبيّن، قال -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[1].

فلا بدّ -طبقًا لهذه الآية المباركة- من أخذ الأنباء من مصادرها الموثوق بها.

ب. عدم إفشاء أسرار المؤمنين

ج. اليقظة والحذر

لقد حذّرت آيات عديدة المسلمين من المكائد والمخطّطات التي يحيكها الأعداء لهم، وضرورة التنبّه واليقظة لمعرفة نواياهم وأهدافهم. ومن هذه التحذيرات ما كان بحقّ اليهود على وجه الخصوص، كما في قوله -تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾[2].

2. الفضح

تعرّض القرآن لإحدى أهمّ الطرق لمواجهة أصحاب الشائعات، وهي فضح العدوّ، كما حصل ذلك مع المنافقين، كما في قوله -تعالى-: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا

(1) سورة الحجرات، الآية 6.

(2) سورة المائدة، الآية 82.

يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ۝١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ۝١٢ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ﴾[1].

3. التفنيد والتحصين (الإعلام المضادّ)

في الوقت الذي بيّن القرآن الكريم سمات المنافقين من أجل الحذر منهم، بيّن لنا ضرورة القيام بأمرين من أجل مواجهة الشائعات، هما:

أوّلًا: كشف زيف الإشاعة والدعاية المضادّة ضدّها، وذلك من خلال بيان الكذب والتناقض فيها؛ لإسقاط فاعليّتها، وتوجيه ردّ الفعل ضدّ مروّجيها.

ثانيًا: تحصين المجتمع، من خلال رفع منسوب الوعي فيه.

قال -تعالى-: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٩٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ۝١٠٠ وَكَيۡفَ تَكۡفُرُونَ وَأَنتُمۡ تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمۡ رَسُولُهُۥۗ وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[2].

(1) سورة البقرة، الآيات 9-13.

(2) سورة آل عمران، الآيات 99 - 101.

4. الإهمال وعدم الاعتناء

ومن الأساليب التي دعا إليها القرآن، أسلوب الإهمال وعدم الاعتناء بالخصم، بشرط الوصول إلى الهدف، وهو إضعاف الطرف الآخر وعدم فعاليّة إشاعته، كقوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾[1].

5. الاستمالة

ومن الأساليب التي دعا إليها القرآن، أسلوب الإحسان والكلام الليّن مع الآخرين؛ لما له من تأثير بالغ في الآخرين، يقول -تعالى-: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾[2].

آثار الشائعات على الفرد والمجتمع

إنّ كثيرًا من الأحداث المؤلمة والصراعات المدمّرة، وما وقع في التاريخ الإسلاميّ من قتل وسفك دماء ونهب وتدمير، كان قسم مهمّ منه بسبب الإشاعات والأكاذيب التي كان يروّجها العملاء والمندسّون والمنافقون في المجتمع الإيمانيّ؛ بُغية تفكيكه وهدم عُراه وتقويض أركانه.

فالشائعة -التي هي الأقوال والأخبار التي يَتناقلُها الناس، والقَصص التي يَروونها، دون التثبُّت مِن صحَّتها، أو التحقُّق مِن

(1) سورة القصص، الآية 55.

(2) سورة فصلت، الآية 34.

صِدقِها- يمكن أن يكون منشأها فرد ما، أو جهة ما كجريدة، أو مَجلَّة، أو إذاعة، أو تلفاز، أو رسالة خطِّية، أو شَريط مُسجَّل وغيرها، وغالبًا ما تكون لها آثار مؤذية وأضرار سلبيّة، فهي تؤثّر مباشرة على سَعادة الفرد والأسرة والمجتمع وعلى أمنِها النفسيّ؛ فكم من أسر تفكَّكتْ من جرَّاء هذه الإشاعات، وكم من بيوت هدِّمت، وكم من أموال ضُيِّعت، وأطفال شُرِّدت، ذلك كلّه بسبب شائعة مغرضة من مُنافقٍ أو كذَّاب.

وقد بيّنت الشريعة أسس إقامة المجتمع ومعاييرَه، ومن أهمّ هذه الأُسس والمعايير أن تَسُود روح الحبِّ والأُخـوة والسلام بين أفراد المجتمَع الواحد، فـ «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، هُوَ عَيْنُهُ وَمِرْآتُهُ وَدَلِيلُهُ، لَا يَخُونُهُ، وَلَا يَخْدَعُهُ، وَلَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَغْتَابُهُ**»[1].

أثر الشائعات في الكوفة

عندما راسل وجهاءُ الكوفة الإمامَ الحسين عليه السلام كي يقدم عليهم، حيث إنّها بقدّها وقديدها مهيعًا خصبًا له، وكانت عبائرهم أن «أقدم يابن بنت رسول الله، إنّما تقدم على جند لك مجنّدة» وغيرها، قام الإمام عليه السلام بإرسال مسلم بن عقيل عليه السلام سفيرًا إليهم.

(1) الشيخ الكليني، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص166.

وصل مسلم، وآلت الأمور لصالحه، وأبرق إلى الإمام الحسين عليه السلام: «**أمّا بعد، فإنّ الرائد لا يُكذّب أهله، وإنّ جميع أهل الكوفة معك، وقد بايعني منهم ثمانيةَ عشرَ ألفًا؛ فعجّل الإقبال حين تقرأ كتابي...**»[1].

لكن، ما إنْ دخل عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، بدأت الأمور تختلف، وبدأت الناس تنقلب على بيعتها! فما هي أسباب الانقلاب في المواقف، ونكص البيعة؟!

إنّ أبرز الأسباب هي الشائعة التي انتشرت كالنار في الهشيم، والتي تحدّثت عن قدوم جيش الشام.

هذه الشائعة أخذت كلّ مأخذ في المجتمع الكوفيّ، واستطاع ابن زياد أن يشكّل جيشًا من أهل الكوفة ضدّ الإمام الحسين عليه السلام، وكان جيشهم بديلًا عن جيش الشام المزعوم.

دولة الإمام المنتظر، دولة الأمن والسلام

إنّ الحديث عن الشائعات ومدى خطورتها وقبحها على صعيد المجتمع الإنسانيّ، يأخذنا لاستحضار الحال التي ستكون عليها دولة الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف، حيث إنّ الأحاديث والروايات التي تحدّثت عن واقع تلك الدولة الإلهيّة تشير إلى مدى الأمن والسلام اللذين سيعمّان المجتمع الإنسانيّ على جميع الأصعدة.

---

(1) ابن نما الحلّيّ، مثير الأحزان، مصدر سابق، ص21.

الموعظة التاسعة عشرة

حقوق الناس

لا يُفتل معنا رجلٌ عليه دَيْن

الهدف العامّ

بيان أهمّيّة الاعتناء بحقوق الناس، وخطورة حبس الحقوق وأكل المال الحرام.

المحاور الرئيسة

- رسالة الحقوق
- المال الحرام
- حبس الحقوق
- حقّ الجار
- العدالة بين الناس في دولة الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف

قال الله -عزّ وجلّ-: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾[1].

رسالة الحقوق

تُعدُّ رسالة الحقوق، الواردة عن الإمام زين العابدين عليه السلام، من النفائس الجليلة والعظيمة، والتي تحمل في طيّاتها دروسًا ومواعظ، تُعدُّ دستورًا لمن رام الالتزام بالمبادئ الإسلاميّة والإنسانيّة في تعامله مع غيره من أفراد الناس.

وقد أورد الإمام عليه السلام خمسين حقًّا، مبيّنًا فيها محاسن التقيّد والالتزام بها، ومساوئ التفلّت منها.

هذا، وإنّ الإمام عليه السلام قد أورد ما ذكره من حقوق في هذه الرسالة بكلام بليغ وموجز، يستطيع القارئ له أن يصل إلى خلاصة ما ينبغي معرفته بشكل سلس، مع ما فيه من تأثير نفسيّ ومعنويّ على قلبه، ما يدفعه إلى التزام ما يذكره الإمام عليه السلام، واتّباعه.

الحقوق الماليّة - المال الحرام

إنّ التعامل بالمال من أخطر المسائل التي ينبغي التنبّه إليها

(1) سورة الحديد، الآية 25.

في علاقة الناس فيما بينهم، سواء أكان فيما يتعلّق بمال التجارة، أم مال الدين، أم الإرث، وما شاكل.

والمقصود بالمال الحرام، هو كلّ مال يكسبه الإنسان من طريق محرّم عند الله -تعالى-، كالربا والسرقة والغصب، والمال الناتج عن التجارة المحرّمة، كتجارة المخدِّرات والخمر وغير ذلك.

ويدخل غصبُ حقوق الآخرين ضمن المال الحرام، كمن يستدين من آخر ولا يعطي صاحبَ الحقّ حقّه، فإنّ ذلك من المال الحرام الذي يعيث في النفس البشريّة فسادًا وقسوةً وبُعدًا عن الله -سبحانه-؛ لذلك نجد تحذيرات قاسية، وجّهها الباري -سبحانه- من خلال كتابه العزيز ولسان رسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت الأطهار عليهم السلام، كي يرتدع الآكلون للمال الحرام عن فعلهم.

قال الله -تعالى-: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1].

وقال -أيضًا-: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾[2].

ولا يتّسع المقام لإيراد مصاديق المال الحرام كلّها، لكنّنا نكتفي بعنوان واحد ينسجم مع عنوان هذه الموعظة، وهو «حبس حقوق».

(1) سورة المطفّفين، الآية 14.

(2) سورة النساء، الآية 10.

حبس الحقوق

1. ما المراد بحبس الحقوق؟

المراد بحبس الحقوق هو أن يكون لأحد حقّ في ذمّة الغير وطالبه به، وكان ذلك الشخص قادرًا على أدائه، ولكنّه يمتنع عن ذلك.

2. حبس الحقوق من الذنوب الكبيرة

هو من الذنوب الكبيرة، كما في رواية الفضل بن شاذان عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال عند تعداده الكبائر: «**وحبس الحقوق من غير عُسر**»[1].

3. ذمّ الحابسين لحقوق الناس وعقابهم

ونجد في أحاديث المعصومين عليهم السلام ذمًّا شديدًا لمن حبس حقوق الآخرين، وهو قادر على أداء ما عليه منها، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**من حبس حقّ المؤمن، أقامه الله -عزّ وجلّ- يوم القيامة خمسمئة عام على رجليه، حتّى يسيل عرقه أو دمه، وينادي منادٍ من عند الله: هذا الظالم الذي حبس عن الله حقّه، قال: فيُوبَّخ أربعين يومًا، ثمّ يُؤمَر به إلى النار**»[2].

حقّ الجار

إنّ من الحقوق العظيمة التي راعاها الدين الإسلاميّ الحنيف هو حقّ الجار. وبقراءة بسيطة في التراث الإسلامي نوقن عظمة

(1) الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج15، ص330.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص367.

حقوق الجار عند الله -سبحانه-، ومدى خطورة التعدّي عليه وأذيّته.

1. الجار في القرآن والسنّة

أ. في القرآن الكريم

ذكر الله -تعالى- في كتابه ما يشير إلى احترام الجار: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ﴾[1].

ب. في أحاديث وسيرة المعصومين عليهم السلام

عن الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: «**وأمّا حقّ الجار، فحفظه غائبًا وكرامته شاهدًا، ونصرته ومعونته في الحالين**[2] **جميعًا، لا تتّبع له عورة ولا تبحث له عن سوء [ة] لتعرفها، فإن عرفتها منه عن غير إرادة منك ولا تكلّف، كنت لما علمت حصنًا حصينًا وسترًا ستيرًا، لو بحثت الأسنّة عنه ضميرًا لم تتّصل إليه لانطوائه عليه، لا تستمع عليه من حيث لا يعلم، لا تسلمه عند شديدة، ولا تحسده عند نعمة، تقيل عثرته، وتغفر زلّته، ولا تدّخر حلمك عنه إذا جهل عليك، ولا تخرج أن تكون سلمًا له، تردّ عنه لسان الشتيمة وتبطل فيه كيد حامل النصيحة، وتعاشره معاشرة كريمة. ولا حول ولا قوّة إلّا بالله**»[3].

(1) سورة النساء، الآية 36.

(2) أي حال الحضور والغياب.

(3) الحرّانيّ، الشيخ ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليه وآله، مصدر سابق، ص266.

ومن الملاحظ أنّ الإمام يورد عددًا لا بأس به من الحقوق التي ينبغي حفظها للجار؛ من حفظه غائبًا، إلى إكرامه ونصرته وعدم تتبّع عثراته، وأن يكون المرء ناصحًا لجاره، حليمًا معه مناصرًا له بالحقّ، وغير ذلك.

وكان الإمام السجاد عليه السلام يدعو لجيرانه بكلمات ممزوجة بالرقّة والعطف، مبيّنًا في دعائه بعضًا من حقوق الجيران قائلًا: «**اللهمّ تولّني في جيراني بإقامة سنّتك، والأخذ بمحاسن أدبك في إرفاق ضعيفهم، وسدّ خلّتهم، وتعهّد قادمهم، وعيادة مريضهم، وهداية مسترشدهم، ومناصحة مستشيرهم، وكتمان أسرارهم، وستر عوراتهم ونصرة مظلومهم، وحسن مواساتهم بالماعون، والعود عليهم بالجدّة والإفضال، وإعطاء ما يجب لهم قبل السؤال، والجود بالنوال -أي العطاء- يا أرحم الراحمين**»[1].

2. مفهوم حسن الجوار

طبقًا لروايات المعصومين عليهم السلام، إنّ حسن الجوار يتعدّى الإقدام على فعل الإحسان مع الجار، ليشمل الصبر على أذى الجار، كما عن الإمام الكاظم عليه السلام: «**ليس الجوار كفّ الأذى، ولكنّ حسن الجوار صبرك على الأذى**»[2].

---

(1) الإمام زين العابدين عليه السلام، الصحيفة السجّادية، تحقيق السيّد محمّد باقر الموحد الأبطحيّ الأصفهانيّ، مؤسّسة الإمام المهديّ عليه السلام / مؤسّسة الأنصاريّان للطباعة والنشر، إيران - قم، 1411هـ، ط1، ص132.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص667.

وقد ترجم أهل البيت عليهم السلام أقوالهم بأفعالهم، فقد ورد في سيرتهم عن الإمام السجاد عليه السلام: كان هشام بن إسماعيل يؤذي عليّ بن الحسين في إمارته، فلما عُزل أمر به الوليد أن يُوقَف للناس، فقال: ما أخاف إلّا من عليّ بن الحسين، وقد وقف عند دار مروان، وكان عليّ قد تقدّم إلى خاصّته ألّا يعرض له أحد منكم بكلمة، فلما مرّ ناداه هشام: الله أعلم حيث يجعل رسالاته. وزاد ابن فيّاض في الرواية في كتابه: إنّ زين العابدين أنفذ إليه، وقال: «**انظر إلى ما أعجزك من مال تُؤخذ به، فعندنا ما يسعك، فطب نفسًا منّا ومن كلّ من يطيعنا**»، فنادى هشام: الله أعلم حيث يجعل رسالاته»[1].

3. مصاديق أذيّة الجار

إنّ أذيّة الجار لا تنحصر في الأمور المادّيّة فحسب، بل تشمل ما فيه أذيّة معنويّة كذلك، من إفشاء سرّه وتتبّع عثراته... إلّا أنّ أبرز مصاديق الأذيّة انتشارًا بين الناس، هو إثارة الأصوات المزعجة، والتي تصل في بعض الأحيان إلى درجة الأذيّة، فإنّ بعضهم يعمد إلى التصرّف كيف شاء في بيته دون رعاية جيرانه، سواء أكان في أوقات النهار أم الليل، ولا يحسب لراحة الناس أيّ حساب! وإنّ ذلك لمن الأمور السيّئة والقبيحة التي لا ينبغي صدورها عن المؤمن التقيّ.

(1) ابن شهر آشوب، مشير الدين أبو عبد الله محمّد بن عليّ، مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المكتبة الحيدريّة، العراق - النجف الأشرف، 1376هـ - 1956م، لا.ط، ج3، ص301.

أداء الدين

إنّ من المواقف الأخلاقيّة والاجتماعيّة في عاشوراء، والتي تدلّ على مدى حرص الإمام عليه السلام في قضاء حوائج الناس وحفظ حقوقهم، وإرجاعها إليهم مهما كلّف الأمر، حينما أمر مناديًا في أصحابه: «**لا يُقتل معنا رجلٌ عليه دين**»[1].

العدالة بين الناس في دولة الإمام المنتظر

إنّ قراءة بسيطة في الأحاديث المهدويّة، تؤكّد لنا مفهومًا عظيمًا سيتحقّق في تلك الدولة الإلهيّة، ألا وهو مفهوم العدالة بين الناس، حيث يعيش الناس بسلام فيما بينهم آمنين، وهذا ما نفهمه من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**يملأ الأرض قسطًا وعدلًا**»[2]؛ فالعدالة هنا لا تعني مجرّد إقامة العدل في الدولة، إنّما عدالة الناس فيما بينهم، بأن لا يغصب أحدٌ حقَّ أحد، ولا يتعامل الناس بالمال الحرام...

(1) السيّد المرعشيّ، شرح إحقاق الحقّ، تعليق السيّد شهاب الدين المرعشي النجفيّ - تصحيح السيّد إبراهيم الميانجيّ، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشيّ النجفيّ، إيران - قم، لا.ت، لا.ط، ج11، ص437.

(2) الشيخ الصدوق، الأمالي، مصدر سابق، ص78.

الموعظة العشرون

الحياء

المهدويّون أهل الحياء

الهدف العامّ

تعزيز قيمة الحياء في نفوس المخاطَبين.

المحاور الرئيسة

- حقيقة الحياء
- مراتب الحياء
- موارد الحياء
- الحياء المذموم
- أسباب ضعف (ذهاب) الحياء
- حياء السيّدة زينب عليها السلام
- المهدويّون أهل الحياء

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا حَيَاءَ لَه**»[1].

حقيقة الحياء

الحياء خُلُقٌ غريزيٌّ [فطريّ] أو مكتسَبٌ، يمنع من فعلِ القبيح وخلافِ الآدابِ والتقصيرِ في الحقوق، خوفًا من اللوم والذمّ به، ولا يوجد شيءٌ من المكارم بدونه؛ ولذلك هو رأسهنّ[2][3].

مراتب الحياء

1. الحياء من الله

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**اسْتَحْيِ مِنَ اللَّهِ كَمَا تَسْتَحْيِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ مِنْ قَوْمِك**»[4].

2. الحياء من الرسول والأئمّة عليهم السلام

عن الإمام الباقر عليه السلام: «**إِنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ تُعْرَضُ عَلَى نَبِيِّكُمْ كُلَّ عَشِيَّةِ خَمِيسٍ؛ فَلْيَسْتَحْيِ أَحَدُكُمْ أَنْ يُعْرَضَ عَلَى نَبِيِّهِ الْعَمَلُ الْقَبِيحُ**»[5].

---

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص106.

(2) عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنّ خصال المكارم بعضها مقيّد ببعض، يقسمها الله حيث يشاء، تكون في الرجل ولا تكون في ابنه، وتكون في العبد ولا تكون في سيّده: صدق الحديث، وصدق الناس، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والتودّد إلى الجار والصاحب، وقرى الضيف، ورأسهنّ الحياء». الشيخ الطوسيّ، الأمالي، مصدر سابق، ص301.

(3) المولى محمّد المازندرانيّ، شرح أصول الكافي، مصدر سابق، ج8، ص180.

(4) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج68، ص336.

(5) الحرّ العامليّ، وسائل الشيعة، مصدر سابق، ج16 ص113.

3. الحياء من الناس

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**شَرُّ الأَصْحَابِ (الأشرار) مَنْ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ، وَلَا يَخَافُ مِنَ اللهِ**»[1].

4. الحياء من النفس

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**أَحْسَنُ الْحَيَاءِ اسْتِحْيَاؤُكَ مِنْ نَفْسِكَ**»[2].

موارد الحياء

1. محارم الله

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**اسْتَحْيُوا مِنَ اللَّهِ حَقَّ الْحَيَاءِ**»، قَالُوا: وَمَا نَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**فَإِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ فَلَا يَبِيتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلّا وَأَجَلُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلْيَحْفَظِ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَالْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَلْيَذْكُرِ الْقَبْرَ وَالْبِلَى. وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ، فَلْيَدَعْ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**»[3].

2. بذاءة اللسان

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ الْجَنَّةَ عَلَى كُلِّ فَحَّاشٍ بَذِيءٍ، قَلِيلِ الْحَيَاءِ، لَا يُبَالِي مَا قَالَ وَلَا مَا قِيلَ لَهُ...**»[4].

---

(1) الليثيّ الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص294.
(2) المصدر نفسه، ص121.
(3) الشيخ الصدوق، الخصال، مصدر سابق، ص293.
(4) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص323.

3. الستر

عن رسول الله ﷺ أنّه نظر إلى رجلٍ يغتسل بحيث يراه الناس، فقال: «**أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مِنْ عِبَادِه الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ؛ فَأَيُّكُمُ اغْتَسَلَ، فَلْيَتَوَارَ مِنَ النَّاسِ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ زِينَةُ الْإِسْلَامِ**»[1].

الحياء المذموم

1. التعلّم والتفقّه

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**لَا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلّا رَبَّه، وَلَا يَخَافَنَّ إِلّا ذَنْبَه، وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ، أَنْ يَقُولَ: لَا أَعْلَمُ، وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ الشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَه**»[2].

2. قول الحقّ

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**مَنِ اسْتَحْيَى مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ فَهُوَ أَحْمَقُ**»[3].

3. الأدب

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**ثَلَاثٌ لَا يُسْتَحْيَى مِنْهُنَّ: خِدْمَةُ الرَّجُلِ ضَيْفَهُ، وَقِيَامُهُ عَنْ مَجْلِسِه لِأَبِيه وَمُعَلِّمِه، وَطَلَبُ الْحَقِّ وَإِنْ قَلَّ**»[4].

---

(1) الميرزا النوريّ، مستدرك الوسائل، مصدر سابق، ج1، ص488.

(2) السيّد الرضيّ، نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ عليه السلام)، مصدر سابق، ص482.

(3) الليثيّ الواسطيّ، عيون الحكم والمواعظ، مصدر سابق، ص440.

(4) المصدر نفسه، ص212.

4. إعطاء القليل

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**لَا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ، فَإِنَّ الْحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْه**»[1].

5. من ذكر الله

عن الإمام الرضا عليه السلام أنّ موسى ناجى ربّه قائلًا: «**يَا رَبِّ، أَبَعِيدٌ أَنْتَ مِنِّي فَأُنَادِيَكَ، أَمْ قَرِيبٌ فَأُنَاجِيَكَ؟ فَأَوْحَى اللَّهُ -جَلَّ جَلَالُهُ- إِلَيْه: أَنَا جَلِيسُ مَنْ ذَكَرَنِي، فَقَالَ مُوسَى عليه السلام: يَا رَبِّ، إِنِّي أَكُونُ فِي أَحْوَالٍ أُجِلُّكَ أَنْ أَذْكُرَكَ فِيهَا. فَقَالَ: يَا مُوسَى، اذْكُرْنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ**»[2].

أسباب ضعف (ذهاب) الحياء

1. الغزو الثقافيّ

انطلقت، مع بدايات ما عُرِف بعصر النهضة، دعـواتٌ إلى تحرير المرأة، وافترض بعضُهم أنّ تحريرها إنّما يكون بتحرّرها من الحجاب، وكأنّ الحجاب عائقٌ أمام حرّية المرأة وانعتاقها من أسر التخلّف والقيم الجاهلية المكبِّلة لإرادتها، أو مانعٌ من قيامها بدورها في الحياة على أتمّ وجه وأكمل صورة، وهذا خطأٌ فادحٌ! فالحريّة تكون بعدم الارتهان والعبوديّة، ولم تكن الحرّيّة يومًا، ولن تكون، بنوع اللباس، أو بشكله. إنّ المشكلة هي في العقدة

(1) السيّد الرضيّ، نهج البلاغة (خطب الإمام عليّ عليه السلام)، مصدر سابق، ص479.

(2) الشيخ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، مصدر سابق، ج1، ص28.

والانسحاق أمام الآخر، الذي عمل على تسليع المرأة والإساءة إليها، بتحويلها إلى عنصر إثارة وإغراء.

عن رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْمَعْصِيَةَ إِذَا عَمِلَ بِهَا الْعَبْدُ سِرًّا، لَمْ تُضِرَّ إِلَّا عَامِلَهَا، وَإِذَا عَمِلَ بِهَا عَلَانِيَةً وَلَمْ يُغَيَّرْ عَلَيْهِ، أَضَرَّتِ الْعَامَّةَ**»[1].

وعنه ﷺ: «**كَيْفَ بِكُمْ إِذَا فَسَدَتْ نِسَاؤُكُمْ، وَفَسَقَ شَبَابُكُمْ، وَلَمْ تَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ، وَلَمْ تَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ! فَقِيلَ لَهُ: وَيَكُونُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! فَقَالَ: نَعَمْ، وَشَرٌّ مِنْ ذَلِكَ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا أَمَرْتُمْ بِالْمُنْكَرِ، وَنَهَيْتُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ! فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ؟! قَالَ: نَعَمْ، وَشَرٌّ مِنْ ذَلِكَ، كَيْفَ بِكُمْ إِذَا رَأَيْتُمُ الْمَعْرُوفَ مُنْكَرًا، وَالْمُنْكَرَ مَعْرُوفًا؟!**»[2].

2. الضعف الثقافيّ والتربويّ

نحن بحاجة إلى تعزيز ثقافة الحجاب والستر، والصحيح أن نُربّي بناتنا على ضرورة ارتداء الحجاب من خلال شرح معنى الحجاب ومغزاه، وأنّه يساهم في حمايتهنّ وحفظ كرامتهنّ، خصوصًا أمام موجات التشكيك في جدواه.

قال -تعالى-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[3].

---

(1) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج97، ص74.

(2) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج5، ص59.

(3) سورة التحريم، الآية 6.

فالمرأة التي كرّمها الله -تعالى- بإنسانيّتها، غدت سلعةً للعرض، يتفنّن «العقل» الاستهلاكيّ والمادّيّ المهيمِن في إبراز مفاتنها، واستعراض جسدها، حتّى يكاد بعضهم يلتهمها بنظراتِ السوء وخائنة الأعين، دون أن تشعر بحياء، أو يشعر ذووها بذلك!

3. الاختلاط

إنّ الاختلاط دون مراعاة الضوابط الشرعية من أهمّ العوامل التي تذهب الحياء، فاعتياد المرأة على الرجل يضعف الرادع النفسي شيئًا فشيئًا حتّى يضمحلّ ويفنى.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «**قَالَ رَسُولُ اللَّه** صلى الله عليه وآله وسلم **-فِي الْحَدِيثِ الَّذِي قَالَتْهُ فَاطِمَةَ** عليها السلام**: خَيْرُ النِّسَاءِ أَنْ لَا يَرَيْنَ الرِّجَالَ وَلَا يَرَاهُنَّ الرِّجَالُ-: إِنَّهَا مِنِّي**»[1].

حياء السيّدة زينب عليها السلام

لا شكّ في تأثير الوراثة والعائلة على سلوك الإنسان، وإلى جانبها التربية، فالعديد من الفضائل تنتقل إلى الأبناء من خلال التربية الصحيحة.

وهذان العاملان يتجليّان في أعلى مراتبهما في عقيلة بني هاشم عليها السلام، فنقرأ في زيارتها: «**السَّلَامُ عَلَى مَنْ رَضعَتْ بِلُبَانِ الإِيمَانِ**».

(1) الطبرسيّ، الشيخ الحسن بن الفضل، مكارم الأخلاق، منشورات الشريف الرضيّ، إيران - قمّ، 1392هـ - 1972م، ط6، ص233.

وُلِدَت عليها السلام في بيت الوحي، وعاشت في حضن النبوّة ومهد الإمامة، وتربّت على يدي سيّدة النساء، وعايشت أساتذة عالَم الإنسانيّة؛ جدّها ووالدها وأخوَيها عليهم السلام.

تقول الروائيّة «بنت الشاطئ»: كيف كانت (زينب) تبدو في ريعان شبابها؟

تُمْسِكُ المراجع التاريخيّة عن وصف صورتها لنا في تلك الفترة، إذ هي في خدرها محجّبة، لا نكاد نلمحها إلّا من وراء ستار، غير أنّها سوف تخرج من خدرها بعد عشرات السنين، في محنة كربلاء[1].

ولولا الأمر الإلهيّ، حيث «**إِنَّ اللهَ شَاءَ أَنْ يَرَاهُنَّ سَبَايَا**»[2]، لما خرجت عليها السلام، إلّا لنشر ثورة الحسين عليه السلام.

دفاعها عن الحرمات

عفّة المرأة لا تعني الانكفاء والانطواء والإحجام عن تحمّل المسؤوليّة وممارسة الدور الاجتماعيّ، فالسيّدة زينب عليها السلام مارست دورها في أعلى المستويات، فنراها تصدح في مجلس يزيد دفاعًا عن الحرمات والعفّة: «**أَمِنَ العَدْلِ، يَابْنَ الطُّلَقَاء، تَخْدِيرُكَ حَرَائِرَكَ وَإِمَائِكَ، وَسَوْقُكَ بَنَاتِ رَسُولِ اللهِ سَبَايَا، قَدْ**

(1) عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) (أستاذ الدراسات القرآنيّة العليا بجامعة القرويّين-المغرب)، السيّدة زينب، فصل عقيلة بني هاشم، دار الكتاب العربيّ، بيروت، ص52.

(2) العلّامة المجلسيّ، بحار الأنوار، مصدر سابق، ج44، ص364.

هتكت سُتُورهُنَّ، وَأبديت وُجُوههُنَّ، تَحْدُو بهنَّ الأَعْـداءُ مِنْ بَلَد إِلَى بَلَد، وَتَسْتَشْرِفُهُنَّ المَنَاقلُ، وَيَتَبَرَّزْنَ لِأَهْلِ المَنَاهِلِ[1]، وَيَتَصَفَّحُ وُجُوهَهُنَّ القَرِيبُ وَالبَعِيدُ، وَالغَائبُ وَالشَّهِيدُ، وَالشَّرِيفُ وَالوَضِيعُ، وَالدَّنِيُّ وَالرَّفِيعُ، لَيْسَ مَعَهُنَّ مِنْ رِجَالِهِنَّ وَلِيٌّ، وَلَا مِنْ حمَاتِهِنَّ حَمِيٌّ، عُتُوًّا مِنْكَ عَلَى اللهِ، وَجُحُودًا لِرَسُولِ اللهِ، وَدَفْعًا لِمَا جَاءَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ...»[2].

المهدويّون أهل الحياء

ورد عن الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف في دعائه: «**... وَتَفَضَّلْ عَلى مَشايخِنا بِالْوقارِ وَالسَّكينَة، وَعَلى الشَّبابِ بِالإِنابَةِ وَالتَّوْبَة، وَعَلى النِّساءِ بِالحَياءِ وَالعِفَّة، وَعَلى الأَغْنياءِ بِالتَّواضُعِ وَالسِّعَة، وَعَلى الفُقَراءِ بِالْصَبْرِ وَالقَناعَة...**»[3].

إنّ هذه الوصايا تمثّل، في جوهرها، دعوةً للتحلّي بصفات الأنصار المؤهّلين لتحقيق الأهداف الإلهيّة الكبرى، التي وعد الله -عزّ وجلّ- البشريّة بتحقيقها، على يدَي صاحب الزمان عجل الله فرجه الشريف.

ولا يخفى أنّ اختصاص النساء بتأكيد تحلّيهنّ بالحياء والعفّة يرجع إلى خصوصيّات المرأة من جهة، والآثار الخطيرة لغياب الحياء والعفّة عن النساء من جهةٍ ثانية.

---

(1) المناهل، مواضع شرب الماء في الطريق.

(2) الشيخ الطبرسيّ، الاحتجاج، مصدر سابق، ج2، ص35.

(3) الكفعميّ، إبراهيم بن عليّ العامليّ، المصباح (جنّة الأمان الواقية وجنّة الإيمان الباقية)، دار الرضي (زاهدي)، قمّ، 1405هـ ط2، ص281.

من هنا، فإنّ الوصيّة بالتحلّي بالحياء والعفّة تشمل جميع مناحي الحياة، وليس فقط في دائرة العلاقة بين الجنسين وما يرتبط بالحجاب. وهذا ما تشير إليه نصوصٌ عدّة.

والعمل بهذه الوصيّة المهدويّة سببٌ لكمال الإيمان، كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَمَلَ إِيمَانُهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ ذُنُوبًا لَمْ يَنْقُصْهُ ذَلِكَ... الصِّدْقُ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ، وَالْحَيَاءُ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ**»[1].

(1) الشيخ الكلينيّ، الكافي، مصدر سابق، ج2، ص99.

معهد سيّد الشهداء
للمنبر الحسيني

من المعاهد التابعة لجمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة، ويختصّ بشؤون النهضة الحسينيّة ونشرها، وإعداد قدرات خطباء المنبر الحسينيّ وتنميتها، معتمداً على كفاءات علمائيّة وخبرات فنّيّة وإداريّة، ووسائل متطوّرة وأساليب عصريّة، للوصول إلى مستوى يتناسب مع مبادئ النهضة الحسينيّة وأهدافها، المرتكزة على الأسس الصحيحة المستقاة من ينبوع الإسلام المحمّديّ الأصيل.

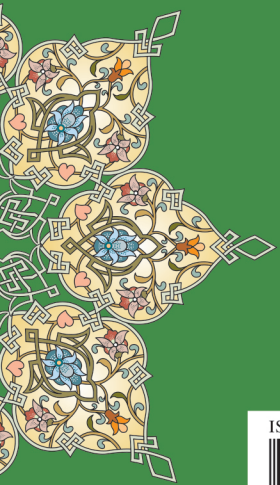

ISBN: 978-614-467-142-9

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
لبنان ـ بيروت ـ المعصورة ـ الشارع العام
تلفون: 471070 1 961+ فاكس: 476142 1 961+
www.almaaref.org.lb
Email:info@almaaref.org.lb